المشرق

رحلة حديثة الى صان الحجر والمنزلة

للاب الملفان الخوري لوسيان لوروا

كنتُ منذ ثلاث سنين نزيل برت سعيد وانا لا ازال اترقّب الزمن الموافق لزيارة آثار مدينة جليلة تكرَّر ذكرها في الاسفار المقدَّسة واتّخذها فراعنة مصر مرارًا كقاعدةٍ لملكتهم ألا وهي طانيس المعروفة اليوم بصان الحجر حتى تيسَّر لي الامر منذ عهد قريب ففزتُ بالمرام وذلك في فصل الصيف من سنة ١٩٠١

فبعد ان اتّخذتُ لتتمَّة المقصود كلَّ الاعلامات اللازمة واعددتُ الاهبة للسَّفر طلبتُ لي رفقةً اسير واياهم الى صان فأسعدني الحظ بان لقيتُ خمسةً من ادباء النزالة اثنان منهم من مستخدمي شركة قناة سويس ثم المسيو ب. وولداهُ فرنسوا وارنست م. وكان احد الملاحين الاعراب اسمهُ الرئيس عيد وعدنا بان يأجرنا لهذه السفرة قاربهُ نركبهُ من محطَّة كربوتي الى صان. وكان هذا القارب كبيرًا في مؤخره غرفةٌ يمكننا ان نقضي فيها الليل

فلمَّا كان اليوم المعهود ركبنا القطار من برت سعيد ومعنا من الزاد ما يكفي لثلاثة ايام وتسلّحنا ببندقيَّتين او ثلاث واخذنا معنا اداتين للتصوير الشمسي. فما لبثنا ان وصلنا الى محطَّة كربوتي وهي قرية صغيرة على ضفَّة بحيرة المنزلة. فكان اوَّل اهتمامنا بان نسأل عن الرئيس عيد فلم نقف لهُ واقاربهِ على اثر. بيد انهُ لحسن طالعنا وجدنا هناك

ذهبيّة لأعرابيين كانت على وشك السفر الى دمياط فأقنعنا صاحبيها بان ينقلانا الى صان بأجرة معلومة فرضيا وسرنا على الطائر الميمون

وكان سفرنا على بحيرة المنزلة جنوبيًا بميلة الى الغرب. وهذه البحيرة تمتدُّ طولًا في مسافة نحو مئة كيلومتر اماَّ عرضها فيختلف. وكانت سابقًا تبلغ مدينة بلوزة القديمة ولا يفصلها عن البحر سوى كثبان من الرمل والبحر مع ذلك يتّصل بها فتدخلها مياهه المالحة من فوهتين او بوغاصين. واذا نقص النيل واشتدَّ القيظ هبطت مياه البحيرة حتى ان القوارب لا تقطعها الّا بالعناء بقلّة الماء. اماَّ اذا فاض النيل رأيت بحيرة المنزلة طاغية تشغل مياهها نحو ١٢٠٠ كيلومتر مربّع لا يطفو فوق المياه سوى بعض جزائر عليها آثار قديمة وكان في موقع هذه البحيرة سابقًا بلاد عامرة وجنّات فيحاء غمرتها مياه بحر المحيط فصارت بحيرة متّسعة الافناء ولم ينجُ من طغيان هذه المياه الّا امكنةٌ قليلة لعلوّ تربتها منها جزيرتا تنيس وتونة

وقد ورد ذكر هذه البحيرة في مروج الذهب للمسعودي فروى خبرها وهو يدعوها بحيرة تنيس قال:

«كانت بحيرة تنيس ارضًا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيبَ تربةٍ وثروةً وكانت جنانًا ونخلًا وكرمًا وشجرًا ومزرع وكانت فيها مزارع على ارتفاع من الارض ولا احسن اتصالًا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انَّها تشبهها الّا فيوم ولا اخصب واكثر فاكهة ورياحين من الاصناف الغريبة وكان الماء منحدرًا اليها لا ينقطع عنها صيفًا ولا شتاء يسقون منهُ جنانهم اذا شاؤوا وكذلك زروعهم وسائرهُ يصبُّ في البحر من سائر خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض نحو مسيرة يوم... فلم يزل البحر يزيد ماؤهُ ويعلو ارضًا فارضًا في طول على ممرّ السنين.. فلماَّ مضت لديقلطيانوس من ملكهِ مائتان واحدى وخمسون سنة (اعني سنة ٥٣٢ م) هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمَّى اليوم بحيرة تنيس فاغرقها وصار يزيد في كل عام حتّى اغرقها باجمعها فما كان من القرى التي في قرارها غرق واماَّ التي كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها تونة وسمود وغير ذلك مماَّ هي باقية الى هذا الوقت»

وكان سيرنا في البحيرة بين جزيرتي تنيس وتونة شمالًا وبلدة المطريّة الحافلة بصيّاديها يمينًا حتى وصلنا بعد نحو خمس ساعات مدخل نهر المعزّ وهو الخليج المعروف في الازمنة السالفة بخليج صان (branche tanitique) وهذا النهر في وقت ارتفاع النيل كثير المياه يتّسع يمينًا وشمالًا فيغمر بمياهه ارضًا واسعةً. اماَّ في فصل الصيف فتنقلّ

مياهُ وينحصر في حدود ضيّقة. ومياهُ عند مصبّه في بحيرة المنزلة لا تصلح للزراعة لاختلاطهِ بالمياه المالحة. وانّما ترى فقط على ضفّتيه بعض الاعشاب كالاسل والقصب

وبعد ان واصلنا السير مدّة بلغنا الى حيث ينقسم نهر المعزّ قسمين وكلاهما يصلح للملاحة ولنقــل السلع وكان سفرنا على القسم الشمالي وهو الذي يوصل بين الزقازيق والصالحيّة وصان والمطريّة فينقل بينها صادرات مصر ووارداتهـا. وكنّا لا نلقى في طريقنا الّا بعض زوارق للعربان يسلّم اهلها علينا اذا رأونا بجلبةٍ عظيمة فنقابلهم بالمثل

وبعد ساعةٍ من الزمان بلغ بنا المسير الى المزدرعات التي تزيّن هذه الجهات وهي كلّها خصبة يغلب عليها الارز والقطن وضروب الحبوب تراها تنبسط كخميلةٍ على جانبي النهر الى مسافات بعيـدة وراءها رملُ الصحراء. ولم تزل صاعدين النهر الذي كان صقيــلًا كمرآة وهو يتّسع حينًا وينزوي حينًا آخر في ضمن حدوده وتارةً يتشعّب شعبًا فتبرز من وسطهِ جزائر خضراء رائعة المنظر. وبينما كنتُ اعاين هذه المشاهد العجيبة اذ لاح لي من سطح السفينة ضحضاح من الميـاه تزينهُ بُقع خضراء وادواح الشجر بينها اعشاب طويلة فسألت صاحبَي القارب: « ما اسم هـذه البحيرة » فاجابا: ليس ثمّت بحيرة ولا مياه ولا اشجار انّما هذا السراب. فعرفت اني مخـدوع كما خُدع قبلي كثيرون من اهل الاسفـار. ثم جعلت اسرّح الطرف نحو الآفاق فلا ترى عيني الّا الرمال الجرداء. وبقينا كذلك حتى اصيل النهار فرأينا عند الافق تلًّا مرتفعًا ظهر لنا في وسط تلك البادية القفرة كانهُ سلسلة جبال. فسألت الملاّحَين: او هذا الجبل ايضًا من ظواهر السراب. قالا: كلّا لكنهُ ليس بجبلٍ وانّما هو تلّ صان الذي نقصدهُ. فشخصت عيوننا نحو تلك الآكام لعلّنا نميّز شيئًا من الخربة المدينة التي عاش فيها موسى كليم الله. الّا انّ التلّ كان بعيدًا يقتضى لقطع المسافة الباقية لبلوغهِ خمس سـاعات على الأقل

فاسبل علينا الليل سترهُ قبل ان ندرك صان الحجر الّا انّ البدر طلع بعد قليل واثار النهر باشعّتهِ الفضيّة وكسا المزدرعات بنورهِ الكمد فانبعث امامنـا عالمٌ جديد اغربُ من ظواهر السراب كانت مناظرهُ تخلب عقولنا وتسبي ألبابنا. ولم تزل ابصارنا ترعى هذه المشاهد الفتّانة حتى بلغنا في جوف الليل قريةَ صان الحجر بعد اربع عشرة ساعة من السير المتواصل. والقرية على ضفّة النهر عند سفح التلّ. فرست ذهبيّتنا عند

طرف الضيعة حيث يتصل بالنهر اسفل اطلال التلّ وردومٌ غائصةٌ في المياه

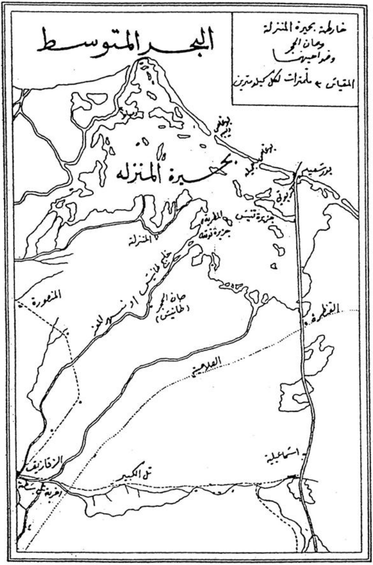
وما ادركنا صان حتى شعرت بنا كلابها واخذت بالنباح فايقظت جلبتها القرويين فقدم علينا بعضهم ليروا ما الامر ولمَّا علموا انَّ قدومنا لسلام هدأت النأمة وعاد القوم الى بيوتهم. وكان هناك يوناني صاحب نُزُل دعانا لنقضي الليل في فندقهِ فابينا وآثرنا النوم في الذهبيَّة لكنَّ عينيَّ لم تكتحل باغتماض

ولمَّا تبلَّج الصبح سمعت صوتًا في مياه النهر فرأيت واذا بفتاتين من صان تغتسلان قبل طلوع الفجر فذكَّرني ذلك بفتاة فرعون التي خلَّصت في هذه الامكنة موسى الطفل من الغرق

ثم ايقظتُ رفقتي فرقينا معًا التلّ باكرًا لنبلغ قمتهُ قبل طلوع الشمس. فكنَّا نسير في طريقٍ غبراء محمرَّة التربة تتكوَّن من دقائق الآجرّ حتى وصلنا بعد مدَّة الى انقاض وبقايا جدران متداعية وآثار اعمدة ومسلاَّت وتماثيل ودُمىً ابي الهول وكلّ ذلك خِلْط مِلْط في حالة يُرثى لها. فقطعنا هذه الآثار دون ان نتلبَّث في فحصها والبحث عنها لئلَّا يفوتنا منظر طلوع الشمس. وكانت طريقنا فويق هذه الاطلال حرجةً صعبة المرتقى ادَّت بنا بعد قليل الى ذروة التلّ اهتدينا اليها ببناء من الحجر المنحوت يُرى هناك فانتظرنا بقرب هذه البناية بزوغ الشمس

وكان اديم السماء صافيًا لا يشوبهُ بخار او سحابة فوجَّهنا الابصار الى الشرق فلم يلبث قرن الشمس ان يذرَّ فيجلّل بانوارهِ الساطعة كل البقاع التي حولنا. ولم يزل مالك النهار يتصاعد شيئًا فشيئًا حتى ظهر بكل جلاله منيرًا بسراجه الوهَّاج حاضرة الفراعنة التي اصبحت اليوم اثرًا بعد عين وخرابًا بعد عمران فبقينا هنيهةً لا نفوهُ ببنت شفة وكلُّنا عيون شاخصة تكاد تلتهم هذه المناظر التهامًا

ثم جعلنا نتجوَّل فوق مشارف التلّ فاذا هو يتَّسع عرضًا ويستطيل الى جهة الجنوب. وكان مع احد رفقتي ميزان لتعريف العلوّ فرصدهُ فاذا هو يدلّ على ثلاثين مترًا بكسر. وكانت سهول طانيس القديمة تمتدّ عند اقدامنا فتذكرنا ما جرى فيها من الضربات العشر كما ورد في الكتاب الكريم (المزمور ٧٧ ع ١٢) حيث قال: وصنع (الربُّ) المعجزات امام آبائهم في ارض مصر في بقعة صوعن (צען). وصوعن هي صان او طانيس. وقد كرَّر ذلك في المزمور عينه (ع ٤٣)


البحر المتوسط
خارطة بحيرة المنزلة
وصان الحجر
وضواحيها
المقياس ٣ ملمترات لكل كيلومترين
بحيرة المنزله
بورسعيد
جزيرة تنيس
المطرية
جزيرة توتة
المنزلة
صان الحجر
(طانيس)
المنصورة
القنطرة
اسماعيلية
تل الكبير
الزقازيق

ثم حاولنا النزول من هذا الجانب فما تمكنا من الامر الّا بعد العناء والمشقّة وكانت ارجلنا تغوص في تراب عميق ضارب الى الصفرة يدخلهُ قِطَع من الخزف والزجاج المكسَّر وكلّ التلّ على هذه الصورة

وان سأل السائل أوبلغت صان هذا العظم والاتّساع حتى انّ اخربتها صارت عبارة عن جبل؟ اجبنا مع العلاّمة مسبرو:« ان مدينة صان لم تكن ذات شأن اذ انّ مجمل ابنيتها كان منحصرًا في دائرة تشمل بعض البيوت المتوسّطة البناء كان يسكنها اعيان البلد وعُمَّال فرعون. وكنت ترى على رُبى قليلة الارتفاع تتركَّب من ردوم سابقة عدَّةَ ابنية اشبه باكواخ خفيفة متلاصقة بعضها لا يفصلها الّا ازقَّة ضيّقة وكلّها من اللبن المجفَّف في الشمس او الآجرّ. تلك كانت مدينة صان. وانّما كان لها هيكل عظيم الشأن شاهق البنيان تتجهُ نحوهُ كلّ حركة السكّان لِما يُقام فيهِ من المناسك الدينيّة لاكرام آلهة المصريين والتل يتركَّب بالخصوص من بقايا هذا الهيكل الفخيم ». على ان من نظر الى الآثار الباقية من صان وهيكلها لا يتمالك من العجب لرونق هذه العاصمة وحضارتها وعظم ملوكها

وبعد ان أجلنا الطرف في كلّ هذه الآثر وفكّهنا المخيلة باحياء سالف الاعصار وذكر قاعدة الفراعنة على عهد بني اسرائيل نزلنا من التلّ لنبحث عن الاخربة التي اجتزنا بها صباحًا دون ان نتأمّلها. وما يمكننا ان نقول عنها بوجه الاجمال انّ هذه الآثار قد استولى عليها الدمار فلم يبقَ منها الّا حطامها. وذلك قول يصحّ في جميع آثار وادي النيل كتلّ بسطة وبلوزة وطانيس بخلاف عاديّات الصعيد فانّ يد الدهر لم تصبها بكبير اذًى. امّا هيكل صان فترى بقاياهُ مجندلةً محطَّمة في حيص بيص فتعثر رجلك تارةً بصفّ من نحيت الحجارة وتارةً بردوم من الانصاب والمسلاّت القديمة وحينًا بقطع من التماثيل الضخمة او الاشخاص المثّلة ابا الهول وكلّ ذلك باختلاط لا يفي بهِ الوصف وهي في اسوإ حالة لا يمكن الناظر ان يتحقّق ما كانت عليهِ هذه الآثار في اوّل تنصيبها

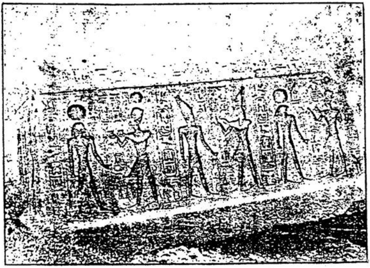
وممّا لحظناه بقايا إلهٍ جبّار منحوت بحجر الصوّان المانع فرأسهُ قد قُطع من شلوهِ وكذلك ترى ذراعيهِ وساقيهِ مكسورتين وضخمهُ عجيب ولو كان سالمًا لعُدَّ شيئًا في كبرهِ بدُمى الالهة التي تُرى في منف والاقصر. وعندنا انّ هذا التمثال هو الشخص

الذي امر باصطناعهِ رعمسيس الثاني من حجرٍ واحدٍ وجعلهُ من اكبر تماثيل مصر

وفوق ربوةٍ ليس بعيدًا عن هذا الأثرِ ترى مسلَّةً كبيرة ممتدَّة على الحضيض وهي مكسورة الى قسمين. يبلغ طولها من ١٨ الى ٢٠ متر وعرض كل وجهٍ من وجوهها الاربعة نحو متر و٦٠ سنتيمترًا. وعلى احد هذه الوجوه مكتوب بالحروف الهروغليفيَّة اسم رعمسيس الثاني والقابهُ فيدعى فيهِ: «ملك الشمال والجنوب' راع أسر مات سوتيب ان راع' ابن الشمس رعمسيس صديق عمون وملك الارضَين». وعند حفّ المسلَّة نُقشت صورة الملك وهو يقدّم قربانًا لالهٍ طُمست سحنتهُ

وعلى مسافة بعض خطوات من هذه المسلَّة مسلَّتان أُخريان على شبه الاولى في كبرها وهما كذلك مكسورتان في وسطهما وعندهما تمثال آخر عظيم لكنهُ لم يُحطَّم كالتمثال السابق وصفهُ. وتُرى في حِجْرهِ صورة امرأة صغيرة القامة منحوتة في الحجر نفسهِ. وليس بعيدًا من هذه الدمية تمثال ثالث اصغر منهما وهو حسَن النقش سالم في قسمهِ الاعلى امَّا سُوقهُ فقد كُسرت. وعلى صدرهِ شعار رعمسيس الثاني. لهُ هيئة كهيئة تمثال سقَّارة الشهير

وفي شمالي هذا الشخص استلفت انظارنا حجرٌ من الصوَّان الاحمر منقور على شكل صندوق وهو ناووس او مصلًى صغير تكسَّر احد اطرافهِ فيُرى داخلهُ وهو منقوش وعلى كل وجوههِ كتابات وتصاوير فاخذت رسمهُ بالتصوير (ص ٤٨٥). وقد مُثّل فيهِ الملك رعمسيس ثلاثًا فتراهُ يقدّم القرابين للاله اتوم او تمو اي الشمس قبل بزوغها وللاله خُبْري اي الشمس الطالعة وللاله هُورس بن اوزيريس. وجُعل الاله اتوم في الوسط وعلى رأسهِ الاكليل المزدوج اشارة الى ملكهِ على مصر العليا وعلى وادي مصر وفي يدهِ اليمنى رمز الحياة وفي شمالهِ الصولجان. وبازائهِ الملك رعمسيس يزين هامتهُ ايضًا الاكليلُ المزدوج تراهُ يقدّم لمعبودهِ تقدمةً وهي طامةٌ على شكل مخروطٍ كالهرم. وامام الاله قد كُتب « تمو سيّد اون » واون هي مدينة عين شمس. وعند اقدام الملك ما نصُّهُ: « تقدمة خبزٍ سميذ لينال الحياة من الاله » واسم الملك والقابهُ مدوَّنة امامهُ ووراءهُ فيُقرأ امامهُ: « سلطان الارضَين' راع أسرمات سوتيب ان راع ' (لقب الملك) رعمسيس ». ومن ورائهِ قد كُتب: « ملك الصعيد ومصر السفلى ' راع أُسر مات سوتيب ان راع ' ابن راع رعمسيس تمو سيد اون »



ناووس (٤٥×٧) او مصلًّى رعمسيس الثاني في طانيس (راجع الصفحة ٤٨٧)

وعلى اليمين رُسمت صورة رعمسيس متوَّج بالتاج الملكي امام الاله هورس يقدّم لهُ اناثين وعلى راس الاله يُرى قرص الشمس مع شعار الاله راع. وجسم الاله كجسم انسان امَّا راسهُ فراس باشق وهو يمسك في يمناه رمز الحياة وفي يسراه صولجان الملك وبازائهِ قد كُتب: « هورس إله الارضَين سيّد السما ». امّا الملك فاسمهُ والقابهُ كما في الصورة السابقة الَّا انهُ قد بُدِل اسمهُ « تمو سيّد اون » باسم « صديق هورس »

وفي جهة الشمال صُوّر الاله خبري (اي الشمس الطالعة) على هيئة بشريّة فرأسهُ مكشوف تعلوهُ دائرة الشمس معلّقة فوقهُ. وامامهُ الملك رعمسيس يقدّم لهُ اناثين. وبقيّة التصاوير والكتابات لا تختلف شيئاً عن صورة اليمين

وفوق هذه الصور الثلاث على طول الناووس كتابة درس اوّلها وآخرها فلم يبقَ منها سوى ما ترجمتهُ: « . . . تمو قربان للاله تمو من قبل السلطان ملك الشمال والجنوب ‹راع أسر مات سوتيب ان راع› ابن راع صديق عمون رعمسيس لا زال ملكك زاهياً نامياً الى الابد »

وفي سطح الناووس من اعلاهُ خمس كتابات تنتهي كلها بهاتين اللفظتين « رعمسيس الحبي »

هذا ما بقي سليماً من آثار صان. وليس الباقي كما سبق القول الّا كسراً وشقفاً لا يُتركّب منها نصب كامل (له بقيّة)

أقدم شعر عند العرب

لحضرة الكاتب العالم والباحث المدقق الاب انستاس الكرملي

اطلعني بعض الاصدقاء على المجلد التاسع من مجلّة الهلال. وبينما كنت اتصفّحهُ وقعتُ فيهِ على مقالة لصاحب المجلة في أميّة بن ابي الصلت وقد افتتح ترجمة هذا الشاعر الجاهلي بلمعة عن حالة العرب ولغتهم قُبيل الاسلام فقال حرسهُ الله (عن الهلال ٩ : ٤٥١):

« لم يمرّ بجزيرة العرب على عهد الجاهلية عصر نهض فيهِ العرب مثل نهضتهم في القرن السادس للميلاد. وهو القرن الذي تقدّم ظهور الاسلام. وكانوا قُبيل ذلك غارقين في الجهالة والخمول لا يعرفون غير الغزو والقتل. وخصوصاً في بلاد الحجاز فاننا لم نسمع فيها قبل ذلك القرن الّا ببضعة شعراء ولم يكونوا مجيدين. فاشهر شعراء الجاهليّة نبغوا في القرن السادس وما بعدهُ. ويؤخذ من مراجعة تراجم اولئك الشعراء ان الشعر العربي نشأ اولًا في اليمن ثم في الحجاز ونجد لانّ اقدم من وصل الينا اخبارهم انما هم من اليمن كالبرّاق وليلى العفيفة وكلاهما من اهل القرن الخامس وهما اقدم شعراء الجاهلية » انتهى المقصود من ايرادهِ

قلنا : لا نعلم على ما يدعم حضرة منشيء الهلال كلامهُ في قولهِ الاخير: « ويؤخذ من مراجعة . . . الخ » فان كان زعمهُ هذا منقولًا عن أدباء الافرنج فاننا قد بحثنا في كتبهم التي بايدينا لنتدبّر صحّة القول فلم نتوفّق الى العثور على ما عثر ولعلّ السبب في ذلك قلّة الاسفار الافرنجيّة التي بايدينا . الّا أننا وان سلّمنا ان المؤلف اخذ كلامهُ عن الافرنج فانهُ لا يخلو من مغامز وليس كل ما يقولهُ هؤلاء الباحثون يكون بمعزل عن الانتقاد. امّا اذا كان كلامهُ مأخوذاً عن كتبة العرب فان هؤلاء لسان واحد على مخالفتهِ. وقد رأينا غير مرّة ان حضرة صاحب الهلال كثيراً ما يقع على بعض الامور

قد جاءت او نُقلت عن بعض الافراد او العشائر او القبائل من الناطقين بالضاد فيطلقها على العرب كلهم اجمعين. ولنا على ذلك شواهد جمة في جميع ما كُتب عن اخلاق العرب وعوائدهم وآدابهم ولغتهم الى آخر ما هُناك. وهذا امر جلل في مثل هذا الموضوع وذلك لان القارئ الغير الواقف على تاريخ العرب اذا ما طالع لاوّل مرّة تلك الأقوال يتمكّن فيهِ الوَهم ولا يعود الى اصلاحهِ سبيل او يُصلَح بشقّ النفس لان ذهن المرء اشبه شيء بارض مهيَّأة للزرع فالذي يثبت فيها وينتحل لنفسه منهـا قواها هو البذر الاوّل فاذا بُذِر فيها بذرٌ ثانٍ جاء ضعيفًا نحيفًا. ويكون الوهمُ أثبت في النفس وأعلق بها وانشب اذا ما اسند الكاتب مزاعمهُ الى احد الكتبة الأقدمين فهناك تكون البليّة العظمى. ولو رجع القارئ الى مساند الكاتب الاوّل وتدبَّر مقالهُ يجدهُ منحصرًا في رجلٍ واحدٍ او قبيلةٍ واحدة او ما كان من هذا القبيل لا عن العرب كلهم

ولعلَّ السبب الذي استزلَّ حضرة الكاتب المجيد في موضوعنا الحالي وقوفهُ على « كتاب شعراء النصرانيَّة » لحضرة الاب لويس شيخو اليسوعي فلمَّا طالع عصور تراجم اولئك الشعراء رأى اقدمهم في التاريخ البرَّاق وليلى العفيفة وهما من اهل اليمن فاستنتج تلك النتائج. ومهما يكن من سبب استدراجهِ الى الزلل فان كلامـهُ هذا لا يوافق ما نصَّ عليهِ العرب « ان اعتمدنا على ما نقلوهُ الينـا وصدَّقنا ما اوردوهُ لنا ». فلقد وصل الينا شعر اقدم عهدًا من شعر البرَّاق وليلى. وهو وان كان قليلًا الَّا انهُ يدلُّنا على ان الشعر بلغ مداهُ الأقصى من التهذيب والتصحيح منذ القرون العريقة في القدم. وكل ذلك اذا ما حكمنا على انَّ ما نقلوهُ الينـا « هو حقيقةَ من شعرهم ونظمهم ». الَّا انَّنا نقول من الآن إنَّ « جُلَّ » ما نقلوهُ الينا إنْ لم يكن « كلُّهُ » هو مصوغ وليس فيهِ من الحقيقة مثقال ذرَّة او مقدارها. وعليهِ فلا يمكننا ابدًا ان نعرف اوَّل شعر قديم انتهى الينا ولا اوَّل قبيلة نطقت بالعربي الفصيح على صورتهِ الحالية ولا في اي بلدٍ كان ذلك طالما نستند على كُتب العرب التي بايدينـا لغويةً كانت او تاريخيَّة لانَّنا اذا عرضنا اقوالهم على نار الانتقاد فلا نراها تصبر عليها هُنيهةً من الزمان ولعلَّ الاكتشافات الأثريَّة تُوضح لنا هذه المسئلة على توالي الأيَّام

امَّا كون العرب قد نقلوا الينا شعرًا اقدم عهدًا على شعري البرَّاق وليلى العفيفـة

فقد بلغنا من شعر الزَّبَّاء التي نبغت في القرن الثالث للمسيح . ومن نظمها (على زعمهم):

للجمال مَا مشيُها وئيدا اجندلًا يحملنَ ام حديدا
ام صرفانًا تارزًا شديدا

(عن مجمع الامثال للميداني ١: ١٥٩)

وقد جاءنا من شعر مَلك بن فَهم وهو اوَّل من تملَّك على تنوخ في العراق نحو سنة ١٩٥ ب م من ذلك قولهُ لقاتله:

جزاني لا جزاهُ الله خيرًا سُلَيمَةُ انهُ شرًّا جزاني
أُعلِّمهُ الرماية كل يوم فلمَّا اشتدَّ ساعدهُ رماني

(عن مجاني الادب ٣: ٣٠٤)

وقد وصلنا ايضًا من نظم الجرادتين او قُل الاصحّ من نظم معاوية بن بكر احد العماليق في عهد هُود (وهو عاش على ما ذكرهُ ابو الفداء وابن الأثير وابن خلدون وجمهور المفسّرين ومؤرّخي العرب بعد نوح وقبل ابرهيم الخليل وانت تعلم ان ابرهيم عاش سنة ٢٠١٦ ق م. فيكون وصلنا شعر عربي من ذلك العهد !!!) . وهذا ما انشدتهُ الجرادتان:

أَلا يا قيلُ وَيحكَ قُم فهينم لعلَّ الله يبعثها غماما
فيسقي ارض عاد انَّ عادًا قدَ آمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجو لها الشيخَ الكبيرَ ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهُم بخيرٍ فقد امست نساؤهُم أيامى
وان الوحش ياتيهم جهارًا ولا يخشى لعاديٍّ سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم نهارَكمُ وليلكمُ التماما
فقُبِّح وفدكم من وفد قومٍ ولا لُقُّوا التحية والسلاما

ولو اردنا ان نشبع الكلام في هذا الموضوع ونذكر ما جاء من الاشعار العربيَّة قبل المسيح لملأنا كتابًا قائمًا براسه ولذكرنا ابياتًا من نظم الحارث بن مضاض الاصغر الجرهمي ومن نظم شدَّاد بن عاد ومن شعر واحدٍ عاش في عهد النبيّ صالح (المسعودي في مروج الذهب المطبوع على حواشي نفح الطيب ١: ٥٣٦) ومن نظم واحد كان في أيام النبيّ بَرخيًا (المسعودي ٢: ٣٧) بل وقد بلغنا نظم من جميع آباء الامم والقبائل العربيَّة البائدة اي من شعر يعرب بن قحطان وعاد بن عوص وثمود بن

عابر وغيرهم (راجع في هذا الصدد المسعودي ٢ : ١٤ الى آخر ص ٣٨) . ألا انّنا نحيلهم على مطالعة كتب مؤرخي العرب ولغوييهم وعلى من عُني بهذا البحث

هذا واغرب الغرائب واعجب العجائب انهُ بلغنا ايضاً من نظم آدم ابي البشر نفسهِ وهذا منتهى ما افضى اليه بحثنا وفيه مُنتهى الاختلاق ايضاً قال المسعودي (في حواشي نفح الطيب ١ : ٣٦) ما نصُّهُ : « وقد استفاض في الناس شعرٌ يعزونهُ الى آدم قالهُ حين حزن على ولدهِ واسف على فقده وهو :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجهُ الارض مغبرٌ قبيحُ
تغيّر كل ذي لون وطعم وقلَّ بشاشةُ الوجه الصبيحُ
وبدّل اهلها خمطاً واثلا بجنات من الفردوس فيحُ
وجاورنا عدوٌّ ليس ينسى لعينٌ لا يموت فنستريحُ
وقتّل قابنٌ هابيل ظلماً فوا أسفاً على الوجهِ المليحِ
فما لي لا اجود بسكب دمعٍ وهابيل تضمّنهُ الضريحُ
ارى طول الحياة عليَّ غمّاً وما انا من حياتي مستريحُ

وو الظاهر انَّ هذه الابيات قديمة وترتقي على الاقل الى صدر الاسلام ولنا على ذلك ثلاثة ادلّة . (الاوّل) : شهادة جماعة من مؤرخي العرب . قال المسعوديّ في اثر ايرادهِ تلك الابيات ما نصُّهُ : « ووجدتُ في عدة من كُتب التواريخ والسير والانساب ان آدم لمَّا نطق بهذا الشعر اجابهُ ابليس من حيث يسمع صوتهُ ولا يرى شخصَهُ . . . » . فقولهُ : « ووجدتُ ... الخ » . يدلُّ على ان جماعة من المؤرخين أوردوا هذه الرواية — (والثاني) : ما حُكي عن القاضي ابي سعيد السيرافي انهُ قال : حضرت في مجلس ابي بكر ابن دُرَيد ولم اكن قبلَ ذلك رأيتهُ فجلستُ في ذيله فانشد احدُ الحاضرين بيتين يُعزَيان الى آدم عم قالهما لمَّا قتَلَ ابنهُ قابيلُ (قاين) هابيلَ وهما :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجهُ الارض مُغبرٌ قبيحُ
تغيّر كلُّ ذي حسن وطيب وقلَّ بشاشةُ الوجهِ المليحِ

فقال ابو بكر : هذا الشعر قد قيل في صدر الدنيا وجاء فيه الإقواء . فقلتُ : انَّ لهُ وجهاً يُخرجُهُ عن الاقواء . فقال : ما هو ؟ . قلتُ : نَصْب « بشاشة » وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين لا للاضافة فتكون بهذا التقدير نكرةً منتصبةً على التمييز ثم رفع الوجه وصفته باسناد « قلّ » اليه فيصير اللفظ : « وقلَّ بشاشةً الوجهُ المليحُ » . فقال :

ارتفع . فرفعني حتى اقعدني الى جنبه . اه (نقلًا عن ابن الشجريّ) — (والثالث) ما اورده ابن الأثير في الكامل (١: ١٦) قال: روى العلماء عن عليّ بن ابي طالب ان آدم قال لمّا قُتل هابيل: . . . (البيتان كما اوردهما المسعوديّ) . فهـذا يدلّك على ان هذا الشعر كان معروفًا في عهد عليّ ابن ابي طالب

وعندنا ان اقدم شعر انتهى الينا هو نظم زرقاء اليمامة اذا اعتمدنا على ما نقلهُ لنا العرب . وهذا القليل انتهى الينا مصحفًا محرّفًا ايضًا قال ياقوت في معجم البلدان في مادة يمامة في كلامهِ عن الزرقاء ما حرفهُ:

« ولمّا نزل بجديس ما نزل قالتْ لهم زرقاء اليمامة: كيف رأيتم قولي؟ وانشأت تقول:

خذوا خذوا حذركم يا قوم ينفعكم فليس ما قد أرى بلْ أمر (١ مُحتقرُ
اني أرى شجرًا من خلفها بشرٌ لأمرٍ اجتمع الاقوامُ والشَّجرُ

(قال ياقوت) : وهي من ابيات ركيكة . اه . قُلنا: لم يُعتدَّ بتلك الابيات فلم يوردوها ظنًّا منهم انّها ركيكة وهي ليست كذلك . الّا انها لمّا كانت من لغة عرب اليمامة وكانت تختلف كثيرًا عن لغة قريش اعتُبرت ركيكةً اعني بالنسبة الى لغة قُريش . واماً في حدّ ذاتها فهي ليست كذلك . وهذا السبب عينهُ هو الذي افقدنا لغات العرب الأقدمين لانها لم تشاكل لغة قُريش . وما يُقال انهُ من لغات العرب المنقرضين فانهُ جاءنا محرّفًا مصبوبًا بقالب لغة قُريش . ولنا على ذلك ادلّة كثيرة لعلّنا نعود الى ذكرها في مقالة ثانية . والله أعلم

الطائفة الكلدانيّة والكنيسة الرومانيّة

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

ما برحت الأمة الكلدانيّة منذ دخول الدين المسيحي فيها حتى الآن تعتقد برئاسة بطرس وتخلُّف الاحبار الرومانيين لهُ في رئاسة الكنيسة كلها . وقد رسخت هذه الحقيقة

---

١) بل الأمر اي بن الأمر او للأمر

في قلوبهم رسوخاً قوياً حتى ان دخول الهرطقة النسطوريَّة عندهم واستمرارهـا مدة اجيال عديدة لم تعبث بهذا الاعتقاد ولهذا تراهم وهم نساطرة يجلّون مدينة رومية عاصمة الكثلكة ويعظِّمون احبارها كأنهم لم ينفصلوا عنها ولم تقطعهم من شركتها.

فمن وقف على اخبارهم وطالع كتبهم يرَ ان ذلك كان عندهم من الامور البديهيَّة التي لم يقع لهم فيها ريب البتَّة حتى ان الاحبار الرومانيين عندما قبلوهم في شركة الكنيسة الكاثوليكيَّة لم يروا داعياً لاصلاح معتقدهم من هذا القبيل

فمن ذلك ما جاء في رسالة كلدان الموصل النساطرة الى يوليوس الثالث سنة ١٥٥٢ في امر سولاقا فانهم يعد ان لقَّبوا الحبر الاعظم بابي الآباء وراعي الرعاة ونائب المسيح قالوا: « اعلم ايها السيد انَّنا عبيدك النساطرة قد اصبحنا يتامى بلا اب ولا مدبّر... وقد وقع انتخابنا على هذا الراهب سولاقا... فارسلناه اليك متوسّلين ان تسيمهُ لنا بطريركاً » (١. وفي صورة ايمان سولاقا المذكور التي أعلن بها امامَ يوليوس الثالث يقول: « انني اقبل المجمع النيقاوي الذي حدَّد الايمان الصحيح وحرم آريوس وحدد ايضاً انَّ الكنيسة الرومانيَّة هي كرسي بطرس وام جميع الكنائس فهذا الايمان محفوظ عندنا... ونوقر ونمدح الكنيسة الرومانيَّة ورئيسها البابا القديس فانهُ مسطر في كتبنا بان كهنوتنا آتٍ من الكنيسة الرومانيَّة ولهذا اتينا لنقبل منكم خمير الكهنوت » (٢

ومما يثبت قولنا ما جاء في ترجمة ياباﻻها الثالث البطريرك النسطوري الكلدانيَّة التي نشرها الاب بدجان. فان هذا البطريرك بالاتفاق مع ارغون ملك المغول كان قد ارسل سفيرًا الى اوربَّة راهباً نسطورياً اسمهُ ربَّان صوما لاجل عقد التحالف مع الملوك المسيحيين لاسيَّما بابا رومية في مسألة سياسيَّة وكان البابا حينئذٍ نيقلاوس الرابع سنة ١٢٨٨ فلما وصل السفير الى رومية رحَّب بهِ البابا وارسل معهُ هدايا ثمينة الى بطريركهِ مع براءة تخوّل هذا البطريرك تأييد سلطانهِ البطريركي على جميع ابناء المشرق ولم يخطر على بال هذا السفير النسطوري ان يعترض على تداخل البابا في شؤون كنيسة لا تخصُّهُ بل قبل كل ذلك شاكرًا لانهُ كان متيقناً بان الاحبار الرومانيين لهم الولاية

١) طالع كتاب المراسلات الرسمية بين الكرسي الرسولي والطائفة الكلدانية للاب صموئيل جميل (ص ١٣)

٢) راجع الصفحة ٤٧٨ منهُ

على نصارى المشرق وبطاركتهم وان كانوا نساطرة (١

وكتب ايليا السابع قبل ان يتّحد بالكثلكة الى بولس الخامس سنة ١٦١٠: « والآن ايها الاب انّي احني الرّأس ساجداً امام عرشك بلا غشّ ولا خداع مطيعاً لك بامر ذاك الذي قلدك المفاتيح فلا انكر الصوت القائل لبطرس: « لك اعطي مفاتيح الملكوت... ولا اعاند كسائر الهراطقة امر الرسل القديسين والآباء الارثذكسيين الذين حدّدوا بان كرسي رومية العظمى لهُ التسلّط وهو رأس جميع الكراسي. حاشا بل اقرّ بان الكنيسة الرومانيّة هي امّ الكنائس ومن لا يعترف بذلك فليكن محروماً (ص ٥٢٦)». وقد اجاب البابا بولس الخامس هذا البطريرك بقوله: « يسرّنا الاكرام والتعلّق البنوي الذي تظهرهُ نحو كرسي الطوباوي بطرس هامة الرسل لاسيّما لانك تقول بان هذا التعلق قد وجد في كنيستك على الدوام (ص ١٢٣) »

فعلى المنتقد والحالة هذه ان يفحص عن سبب ثبات هذا الاعتقاد في الملّة الكلدانيّة وكيف يتوافق ذلك مع وجودهم في الهرطقة — امّا الاوّل فسببهُ لان كتبهم وطقوسهم ومجامعهم قبل النسطرة وفي اثنائها مشحونة بشواهد صريحة في حق رئاسة بطرس وتخلّف اساقفة رومية لهُ. وكان من شيم هذه الطائفة التمسك الشديد بآبائها وايمّتها وها نحن ذا نورد قليلاً من هذه الشواهد على كلا الامرين:

١ قال يعقوب افرهاط الملقب بالحكيم الفارسي في اوائل القرن الرابع في المقالة السابعة على التائبين: « وشمعون ايضاً رئيس التلاميذ كان انكر المسيح وحرم وحلف وقال لا اعرفهُ فلماّ قدّم التوبة واكثر من تسكاب الدموع قبلهُ ربنا وجعلهُ اساساً ودعاهُ صخرة بنيان الكنيسة » — وقال مار افرام المعظم في ميمره على العشاء السري: « انك يا شمعون تلميذي لقد وضعتك اساساً للكنيسة المقدّسة دعوتك الصفا سابقاً لكي تحمل جميع الابنية. انت هو فاحص كل الذين يبنون لي كنيسةً على الارض حتى اذا ابتنوا شيئاً ردياً فاساسك يردعهم. انت راس ينبوع تعليمي ورئيس تلامذتي. بك اسقي الشعوب كلها مياه الحياة العذبة التي أعطيها. أياك انتخبتُ يا بكر تلامذتي لتكون وارثاً كنوزي. اعطيتك مفاتيح ملكوتي وها انت مسلط على خزائني كلها »

١) راجع ترجمة يابالاها المذكور (الصفحة ٨٤ من الطبعة الثانية)

وصلوات الفرض الكلداني مفعمة بشواهد بهذا المعنى منها في تذكار الرسولين بطرس وبولس وتذكار بطرس ويوحنا في الجمعة المعروفة بجمعة الذهب قولهُ: « ايها المهندس الحكيم يا مشيّد الكنائس بطرس الذي قلده ربّه مفاتيح الكنز الروحي لكي يربط ويحل كلّ ما على الارض وما في السماء... بطرس رئيس الرسل... يا راس التلاميذ شمعون بن يونا الذي عليه بنى ربّنا بيعته المؤمنة » — وقال نرسي النسطوري الشهير في الجيل الخامس في ميمره على الانجيليين: « كرز شمعون في البلاد الرومانيّة بشارة جديدة... خرج اولًا صياد السمك ليصيد الامم فرمى شبكتهُ فاصطاد امّ المدن. رئيس التلاميذ اصطاد مدينة الرئاسة » — وقال ايليا الانباري النسطوري في القرن العاشر في كتاب المئات الفصل الاول من الميمر السادس: « المسيح رئيس الاحبار والوسيط بيننا وبين الآب... اختار واقام لهُ على الارض نائبًا للكنائس الشيخ شمعون بن يونا فدعاه باسمه الصخرة ليكون اساسًا للايمان » — ولهذا المؤلف فصل مطوّل بهذا المعنى لا يسعنا المقام ان ندرجهُ — وقال عبد يشوع الصوباوي في القرن الرابع عشر في كتاب القوانين الكنسيّة الفصل الاوّل الجزء التاسع من المجلد الثاني: « ان الطوباوي بطرس حاز السلطان على المسكونة كلها » — وقال معاصره عمرو بن متى الطيرهاني المؤرخ النسطوري في كتاب تاريخهِ عند كلامهِ عن الرسل: « والرئيس عليهم كان شمعون الصفا حافظ كرسي المسيح على الارض »

فاستنادًا الى هذه الشواهد وغيرها التي يضطرّنا ضيق المكان ان نضرب عنها يجوز القول بان الكنيسة الكلدانيّة لم تشك قط في رئاسة بطرس المقرّرة في الانجيل المقدس. ولهذا اكثرت من المديح لمدينة رومية والاطراء عليها لاعتقادها انّها دائمًا كرسي هامة الرسل ومركز الرئاسة في بيعة المسيح وبراهين ذلك كثيرة نقتصر على قليل منها

٢ اوّلها رسالة اغناطيوس النوراني الى الرومانيين التي فيها يبجّل هذه الكنيسة ويرفع مقامها فوق سائر الكنائس (المشرق ٣ : ٨). فقد وُجدت هذه الرسالة عند الكلدان منذ القديم مترجمةً الى لغتهم وهم يعتبرونها مزيد الاعتبار — وفي رتبهم الطقسيّة لا يزالون حتى الآن يرتلون في الاحد الثالث من تقديس البيعة: « تقول رومية لقد بُنيت الكنيسة لدهر الداهرين فلا يقهرها الملوك ولا السلاطين — طوباكِ يا رومية الشهيرة مدينة الملوك أمة العريس السماوي التي جُعل فيكِ كما في مينا واعظان حقيقيان

بطرس رئيس الرسل الذي على حقّهِ بنى مخلصنا كنيسته المؤمنة وبولس الرسول والاناء المختار » — وقال زسي النسطوري في ميمره على القنطيقسطني: « رئيس التلاميذ أُنصبت لهُ ام المدن فركّب فيها عيون الايمان كما جُعلت العيون في الراس — وقال طيماثاوس الاول البطريرك النسطوري في اوائل الجيل التاسع في رسالته الى مار اترخا اسقف نينوى: « لرومية المقام الاول والرأسي من اجل بطرس الرسول » . وفي رسالة لهُ الى اركون المؤمنين في الهند حفظها عبد الله بن الطيب في كتابه المسمى فقه اللغة النصرانيَّة قال: « ان قانون البيعة يأمر بان يطيع الدون للأعلى وتنتهي الطاعة من الكل الى فطرك رومية فهو القائم مقام شمعون الصفا » — وقال ايليا الدمشقي النسطوري في الجيل العاشر في كتاب القانون: « هذه هي الفرائض المعتمد عليها والتي يتمسَّك بها الرؤساء والعوامّ الشرقيون والغربيون . . . الفريضة الاولى امروا وقالوا ان يكون البطاركة في جميع الدنيا اربعة لا غير . . . وان يكون الرئيس صاحب رومية على ما امر به الحواريون » — وقال ايضاً: « النطرك الاوّل فطرك رومية لهُ من الكرامة والفضل على سائر الفطاركة . واذا سامت الهوفوكيا فطركا يصير اليه قبل ان يأمر وينهي في كرسيهِ حتى يسلّمهُ ويتبرك منهُ » — وقال ابو الفرج عبد الله بن الطيب النسطوري في اوائل القرن الحادي عشر في كتاب فقه النصرانيَّة: « قوانين الثلثمائة والثمانية عشر نقلها ماروثا اسقف ميافارقين بمسألة مار اسحق . . . القانون الثاني في ان الفطاركة يكونون اربعة . . . ورئيسهم صاحب رومية كما امر السليحيون »

وقال عبد يشوع الصوباوي في كتاب مجموع القوانين السنهادوسية الفصل الاوّل من البحث التاسع القسم الثاني: « لرومية العظمى أُعطيت البطريركية من اجل العمودين الموضوعين فيها اعني بطرس رئيس الرسل وبولس معلم الامم وهي الكرسي الاول وراس البطريركية . . . ولبيان ذلك هوذا نصُّ القوانين الغربيَّة: قانون المجامع المسكونيَّة: حتم المجمع المسكوني بان يكون اربعة بطاركة في العالم كلهِ . . . ويكون رئيسهم بطريرك رومية حسب امر الرسل الذي حدّدوه بقوانينهم . . . ومن تجاوز هذا فالمجمع المسكوني يضعهُ تحت الحرم » — وفي الفصل الخامس قال: « كما انهُ يحق للبطريرك ان يصنع كل ما اراده اذا كان مناسباً في شان الذين هم تحت سلطانه هكذا يحقّ لبطريرك رومية على البطاركة جميعاً كالطوباوي بطرس على المسكونة كلها لان

صاحب رومية يقوم مقام بطرس في الكنيسة كلها ومن تجاوز هذا فالجمع المسكوني يضعهُ تحت الحرم »

وما هو اعجب ان هؤلاء النساطرة عندما يوردون هذه القوانين لا يقولون انها بطلت او أُلغي استعمالها وعندما يجلون رومية واحبارها لا يقولون انهم الآن قد سقطوا من رئاستهم لحيودهم عن الايمان المستقيم كما احتجَّ غيرهم من المنفصلين عن الكنيسة الرومانية بل نرى بعكس ذلك باباي رئيس دير نصيبين المشهور في النسطوريَّة والذي يجلهُ النساطرة ايَّ إجلال يعتبر بطاركة رومية خلفاء بطرس كما سترى

٣ ولقائل ان يقول اذا كان ذلك كذلك فلماذا انفصل النساطرة عن شركة الكنيسة الرومانيَّة وكيف يتوافق اعتقادهم برئاسة الاحبار الرومانيين على الكنيسة وهم بعيدون عنهم محرومون بسلطانهم

نجيب ان من كان لهُ إلمام باحوال هذه الطائفة في وجودها بالنسطرة لا يبرح ان يشعر بما كانوا عليهِ من السذاجة فكانوا يعتقدون بان تمسُّكهم بالنسطرة ليس بحجَّة كافية تعفيهم عن طاعة من تشهد كتبهم بطلق رئاستهم فلم يحتسبوا انفسهم خارجين عن الكنيسة الرومانيَّة وانَّما يدَّعون بان بُعد بلادهم وصعوبة التوصل الى رومية كانت حاجزًا بينهم وبينها ولا علم لهم بان الكنيسة الرومانيَّة قد نبذتهم من حضنها فانهم كانوا يجهلون حقيقة ما جرى في المجمع الافسوسي جهلًا قطيعًا. ولا غرو فان استنادهم في هذا الحادث على رسالة ايبيا الرهاوي المتحزب لنسطور الى ماري الفارسي الشهيرة المملوءة زورًا وبهتانًا على كيرلس الاسكندري هي التي اوقعتهم في هذا الوهم المبين. فكانوا يتوهمون ان كيرلس وحدهُ هو سبب حرم نسطور ظلمًا وحسدًا ولهذا انحصرت بغضتهم فيهِ وفي اصحاب الطبيعة الواحدة ولا ذكر لشلستينوس البابا عندهم وفاتهم ان كيرلس انَّما ترأس في المجمع الافسوسي وكالةً عن هذا البابا. وزد على ذلك انهم ليس فقط لم يخاصموا احدًا من الاحبار الرومانيين في هذه الوقائع بل كانوا يتوهَّمون ان القديس لاون البابا انتصر لنسطور والغى المجمع الافسوسي وحرم كيرلس في المجمع الخلقيدوني عند ما حدَّد الطبيعتين في السيد المسيح. قال باباي السابق الذكر في كتابه على اللاهوت والناسوت الميمر الثالث الفصل التاسع: « وديوسقوروس ايضًا الحيَّة المسمَّة ابن اخت كيرلس الافعى المتخلّف في كرسيهِ وكفره فهؤلاء قد اوقع بهم

الآباء وشذبوهم مع من ارتأى رأيهم وذلك بواسطة خليفة بطرس العظيم لاون العجيب »

وهذا الذي حمل البطريرك ايليا السابع اذ كان بعد نسطوريًا ان يوعز الى ارشدياقونه آدم بان يؤلف كتابًا يثبت فيه بانهم لا يختلفون عن الكنيسة الرومانيَّة الَّا في الطقوس والعرضيَّات . وأرسل آدم الى رومية لكي يقدّم كتابه الى الحبر الاعظم ويناضل عن قضيته هذه . فكتب بولس الخامس الى هذا البطريرك يقول لهُ : « انَّهُ كان من عمل الرحمة الالهيَّة بانهُ بينا كان سلفاؤك وملافنة طائفتك جميعًا قد ظنوا انَّهم كانوا دائمًا في الايمان المستقيم ولم يختلفوا عن الكنيسة الرومانيَّة الَّا في نوع التعبير كما تقول فانت اوَّل من بدأ يشكّ بذلك وطلبتَ الحقّ ولم تركن الى اجوبة ذويك بل اردت ان تستشير هذا الكرسي المقدَّس بتقوى وحكمة وقد قبلنا بكل ترحاب الارشدياقون آدم الذي بعثتَ بهِ الينا وسمعنا قرار ايمانه وتعجَّبنا كيف توهم انهُ يقدر ان يوافق اعتقادات هكذا متضاربة . الَّا انهُ غيَّر رأيه وقد ظهر لنا واضحًا من الكتاب الذي وضعهُ بامرك لبيان اتفاق المعتقدين وجلبهُ الينا ومن مجادلاته الطويلة مع اشخاص افاضل بالتقوى والعلم عينَّاهم لهُ بانهُ لا علم لهُ بالمجامع المقدَّسة وهو ايضًا بعد ان ثبت لهُ الامر اقرَّ بخلوّ العرض بان نسطور حُرم من الآباء في المجمع الافسوسي (وجه ١٢٣)

فالى هذا الحدّ من الجهل والتناقض يصل كل من حاد عن كنيسة المسيح محجَّة الحق وامثال ذلك كثيرة في الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الرومانيَّة (١

ومكث النساطرة على هذه الحال حتى دخل بينهم المرسلون الرومانيون ودفعوا برقع الوهم عن عيونهم وانذروهم بحقيقة الامور فكنت تراهم كمن افاق من سبات طويل يوجهون الحاظهم الى مركز الكثلكة واحبارها طالبين منهم بتلهُّف الانضمام الى شركة

١) ان ما قلناهُ عن النساطرة القدماء لا يصح في نساطرة ايَّامنا من بعد دخول البروتستانت عندهم لا لانهم تدروا ان يجذبوهم الى اضاليلهم فانهم قد اختبروا ان ذلك ضربٌ من المحال لما بين المذهبين من البُعد الشاسع وان بذلوا لترويج غايتهم المصاريف الباهظة لكن لانهم افسدوا ضمائرهم وحملوهم البغضة للكنيسة الرومانية واحبارها كما هي شيمهم وحسبهم ان يصدوهم عن الانضواء تحت راية رومية

كنيسة المسيح معترفين برئاسة الاحبار الرومانيين عليهم وعلى سائر الكنائس وملقبينهم باشرف واسمى الالقاب. قال ربان آرام في رسالته الموجهة الى انوشنيسوس الرابع سنة ١٢٤٧ نيابةً عن البطريرك سبريشوع الخامس: « الى ابي الآباء زينة الرعاة المتولي كرسي الطوباوي بطرس سيدي الكلي القداسة بابا رومية وجميع اقاليم العالم (ص ١) وكتب ياباﻻها الثالث سنة ١٣٠٤: « الى الاب المتعالي بالقداسة نائب سيدنا يسوع المسيح على الامة المسيحية كلها الجالس على كرسي الطوباوي بطرس الرسول راعينا ابي الآباء البابا بندكتوس الحادي عشر... اننا نقرّ بان الحبر الروماني هو الاب العام على جميع مؤمني المسيح وهو خليفة الطوباوي بطرس النائب العام ليسوع المسيح على جميع ابناء الكنيسة شرقاً وغرباً ومحبته راسخة في قلوبنا (ص ٨) » — وفي رسالة سنهادوسيَّة موقعة باسم البطريرك شمعون دنحا ومطارينه الاثني عشر في سنة ١٥٨٠ الى البابا غريغوريوس الثالث عشر يقولون: « انت في الابوة بمثابة الجنس الاعلى الذي لا جنس فوقهُ ومنهُ تشتقُّ انواع الرئاسات كلها في الكنيسة فانت ابو الآباء وعظيم الرعاة وشمس الكنائسيين ونور المسيحية » (ص ٨٨). وكتب شمعون الخامس البطريرك النسطوري الى اقليميس العاشر ١٦٧٠: « الى ابي الآباء وسيد الرعاة بطرس زماننا وبولس عصرنا تاج الرسولية وشمس التعليم الطاهر السرافيم المجسم والملاك المتجسد اللابس ايفود رئاسة كهنوت يسوع ومالك ومدبر كرسي المسيحيَّة الارثذكسيَّة... فلما رأى سيّدهُ صدقهُ جعلهُ خليفتهُ ومدبّراً ورئيساً واجلسهُ على الكرسي البطرسي المجيد وهو راس جميع الآباء نيابةً عنهُ (ص ٢٠١) »

هذا ولو اردنا ان نورد كل ما بين يدينا من الشواهد لطال بنا الشرح فنختم مستلفتين ألحاظ ذوي الالباب الى هذا الحادث الغريب وما ينجم عنهُ من البرهان الساطع على قدميَّة اعتقاد الكنيسة المسيحيَّة برئاسة الاحبار الرومانيين خلاف ما يذهب اليه اولو الاغراض الذين يزعمون انَّ اساقفة رومية ادَّعوا لنفوسهم هذه السلطة زوراً ارشد الله كل الضالّين وهداهم الى سواء السبيل. امين

الآثار الشرقية في مكاتب باريس

للاب انطون ربّاط اليسوعي

ذكرنا في المشرق (١٥ ك ٢ سنة ١٩٠٣ ص ٩١) رسالة البطريرك مكاريوس وهذا نصُّها (نقلاً عن البشير)

الحمد لله دائمًا

الى جناب الموقف العالي والملك الهادي الفائق في الديانة المسيحية لودوايكو ملك الرابع عشر لناليون لعزّة ملكك يعطي الرب الغلبة

الداعي برحمة الله تعالى مكاريوس البطريرك الانطاكي وسائر المشرق يطلب لعزة ملككم من الله الخلاص ونعمة لسيادتكم وسلامة من الاله الاب الضابط الكل ومن مخلصنا يسوع المسيح ونعمة روح قدسه الذي اسداها على تلاميذه الرسل القديسين في علية صهيون ذات الوقار فانارهم بجلاله وحكَّمهم واضاء بهم عقول المؤمنين وفهمهم . ذلك السلام الالهي وتلك البركة بعينها اللتان سُلمتا الينا نحن خلفاءهم الغير مستحقين يكونا حاللين ومترادفين على عظمة ملككم المحب للمسيح الفائق الوصف الذي من الله تعالى علوه ولا زال مجدكم مكللًا بتيجان التأييد والنصر . متوجاً باكاليل الظفر والغلبة والقهر ولا برح النصر مقيماً مقام خيامهِ . سايرًا تحت مسير اعلامهِ . ماضياً بمضي احكامهِ . دائرًا عليهِ كدرور احسانه على الخلق وانعامه . وخلَّد الله اقتدار مقره تخليدًا يبلى الزمان وهو جديد . وتنقص الايام وهو في المزيد . ويمنحهُ الرب يسوع المسيح طول العمر والبقاء بدوام العزّ والسمو والارتقا . كما منح ملوك المسيحيين السالفين الذين حظيوا بسعادة الدارين والحالين . ونالوا المواعيد الصادقة بغير شك ولا مين بشفاعة سيدتنا العذرى الطاهرة الدايمة البتولية مريم والقديس المعظم مار بطرس الرسول وجميع الرسل والشهدا والانبيا والقديسين الذين ارضوا الله باعمالهم الصالحة امين ٭

اما بعد فالذي نطالع بهِ المقر الشريف والمقام العالي المنيف بان ما قصد الحقير دايمًا الّا دوام الصحة والنعمة والعافية للجناب العزيز وان تلتذ مسامعنا باخبار عزكم السايرة ومناقبكم الحميدة الفاخرة . ولكثرة سماعنا وتحقيقنا بغيرتكم للامانة البهية ولابنائها المسيحيين الكاثوليكيين يا اعظم ملوك المسيحيين يا اصيل في حسن العبادة والديانة كمثل المغبوط قسطنطين لاجل ذلك ارسلنا لعزة ملككم سابقاً اصطاتيكون بركة ودعا . ونخبركم عن احوال المسيحيين اخوتكم الذين في هذه البلاد وما هم بهِ من عظم الضيقات زيادة عن قديم الزمان حتى ان الامر اضطرَّ بهم الى بيع اولادهم للامم لكثرة فقرهم وفاقتهم وعدم ما بيدهم ... وهم صابرين على هذا كلهِ بشكر ونحن دايمًا لا نفتر

من التعزية لهم. واذكارهم باستحانات الشهداء القديسين . في سالف الزمان والحين . ولما كان محب لواء ملكگم وداعيكم . القنصل « بيكات » عندنا كثير نفعهم واجرى احسانهُ ورحمتهُ عليهم واسعفهم وانقذهم بما وصلت اليه يده وطاقته وكل ذلك بحسن نيَّة جنابكم وسر برتكم اذ كنَّا نحن من هذا الجنس الاصيل في حسن العبادة اعني سلالتكم الطاهرة نومل الفرج وانقاذنا من اليسر (كذا) الذي نحن بهِ وكل ذلك صائر علينا من عظم خطايانا كما يوضح ذلك من التواريخ المحررة عن المرحومين اجدادكم الملوك السالفين. . . وكيف اسعفونا في ضيقاتنا ونحن يا سيدنا لا نقصر عن خلاصهم واستنقاذهم بالمال بحسب قوتنا وطاقتنا وما تصل اليهِ يدنا واذ ليس عندنا ما يقوم بذلك اذ كنَّا فقراء وضيقي الحال نستدين ذلك من التجار غصب عنَّا ولاجل ذلك كل آلات الكنايس الطاهرة واوانيها مرهونة عندهم وعلينا من الاموال بالفوايد وكل يوم تربو وما يعلم بها غير الباري سبحانهُ وتعالى وهذا محب لواء ملكگم وداعيكم القنصل « فرنسيكو بارون » ما قصر ايضاً باسعافنا جميعاً بحسب مقدرته وطاقته وما وصلت اليهِ يده وهو واصل الى حضرة سلطتكم ويخبر عظمتكم بالفم شفاهاً عن احوالنا وضيقتنا واحدة فواحدة اذ كنَّا نشكر منهُ كثيراً جدًّا ونيلًا نطيل الخطاب ونسهب في القول على عظمة مملكتكم نرجو اذاً الفرج والاسعاف من الله ومنكم اذ كان ليس تدبير المسيحيين الذين هم تحت يدكم يفيدكم نفعاً فقط بل نحن المساكين يجب عليكم تعاهدنا واسعافنا على حسب ما يلهمكم اياهُ ربنا سبحانهُ وتعالى هذا رجانا وطلبتنا من ملككم المحروس ونختم كلامنا بالشكر لانها الصالح ونسالهُ بان يتمم سعيكم بالصالحات والصدقات والخيرات وان تجيزوا عمركم السعيد بكافة الهدو والسلامة ضامنين انتم وساير من يلوذ بجنابكم الكريم وبلاطكم العظيم وان يخضع الهنا لكم اعداكم...ويايدكم بملايكته القديسين ويحرسكم بساكره النورانيين ...ويقوي ذراعكم ويايد ملكگم ويوطد مقاليد سلطتكم ويمد بطول الاعمار واسعد العيش واهناهُ يجمل لكم الحضوة في ملكوته السماويَّة مع الاباء والانبياء والشهداء وجميع القديسين امين

لا زلتم سالمين وعوناً للخلق اجمعين نعمة ربَّنا يسوع المسيح معكم امين امين امين

تحريراً في اليوم الخامس عشر من شهر شباط سنة ١٦٦٣ مسيحية

بحلب المحروسة

اما توقيع الرسالة فباليونانيَّة غير انهُ مكتوب بحروف ممتنعة القراءة تملأ سطراً برمَّتهِ — وسنعود الى ذكر القنصلين « بيكات » و « بارون »

الطوائف الشرقيَّة وهرطقة الكلوينين

في القرن السابع عشر

في منتصف القرن السابع عشر جرى بين بعض الكاثوليك وبين قوم من اشياع بدعة كلوين جدال مشهور كانت لهُ رنَّة عظيمة في قلوب المعاصرين بسبب ما نشرهُ الطرفان المتجادلان وتنشَّر من المؤلفات في سبيل الاعتراض والردّ الى ان ختم الجدال في اواخر القرن المذكور بخجل الهراطقة وفوز الحقّ

وكان مدار البحث نكران المبتدعين للاسرار المقدّسة ولسلطة الكنيسة ولرئاستها ولغيرها من العقائد الكاثوليكيّة ولم يلبث الخلاف حتى انحصر في حقيقة وجود المخلص في سرّ القربان المقدّس واستحالة الخبز والخمر الى جسد ودم سيدنا يسوع المسيح. فدار الجدال مدّةً في آيات الكتاب المقدّس المؤيدة لحقيقة هذا السرّ ولمّا أُفحم اصحابُ الاصلاح الموهوم وقصّروا عن الجواب عاودوا الكرّة رمع نكرانهم للتقليد الكنائسي ارادوا اتّخاذه حجة لهم على الكاثوليك مدّعين انّ هذه العقيدة جديدة في الكنيسة اخترعها الرومانيون منذ سنين معدودة. غير انّهم اختلفوا في تعيين الوقت فذهب قوم ان اختراعها كان في القرن السابع وآخرون في التاسع وقال غيرهم انّها لم تُعرف قبل القرن الثالث عشر او الرابع عشر. وقد اتّصلت بهم الجرأة حتى انكروا وجود هذه العقيدة في ليتورجيات الكنائس الشرقيّة وكتب ملافنتها العظام فزعموا ان الشرقيين في ايّامهم ينكرون وجود المسيح وجودًا حقيقيًا في سرّ الافخارستيّا ويرذلون استحالة جوهر الخبز والخمر الى جسد ودم يسوع المسيح. ومن ينظر في هذا الزعم يأخذه العجب من قحة المبتدعين اذ لا شيء في كتب آباء الكنيسة وتاريخ القرون المسيحيّة شرقًا وغربًا اثبتُ من هذا الاعتقاد فهو قطب الخِدَم الكنسيّة ومحور الليتورجيّات كافة. ومن ثم سهل على الكاثوليك تفنيد هذا الادعاء الفاسد فتتبعوا كتّاب الغرب والشرق جيلًا بعد جيل وبيّنوا بالنصوص العديدة انهم اجمعين يعترفون بوجود المسيح تحت الأعراض السريّة ويقرّون بهذه العقيدة جهرًا مصرحين بشهادة ايمانهم بما لا يدع لانكار المنكرين سبيلًا اللهمّ ان لم يتعاموا عمدًا فينكروا النور في رائعة النهار

ولمّا كان اصحاب الاصلاح قد ادّعوا على ما تقدّم الكلام ان الكنائس الشرقيّة لا تسلم بهذه العقيدة بل ترفضها بتاتًا سعى الكاثوليك بواسطة المرسلين في تحصيل شهادات رسمية من بطاركة الطوائف الشرقية واساقفتها في حقيقة معتقدها فجاءت الشهادات من كل الانحاء ناطقةً باشتراك الشرق المسيحيّ في معتقده مع الكنيسة الرومانية وتفنيد اقوال المبتدعين ورذلها وحرمها واقامة الحجة على من ادّعى على الشرقيين كذبًا بموافقتهم على المبادئ الكفريّة التي عزاها اليهم ذوو الاصلاح. ولمّا كانت عدّة من هذه الحجج صادرة عن قوم ليسوا بكاثوليك ولا يخضعون لرئاسة الحبر الاعظم نائب المسيح على الارض كان لاتفاقها مع عقيدة الكاثوليك قوة وقدر عظيم فأفحم

ثانيةً المبتدعون ولم يُجِبْ زعيمهم « كلود » جواباً يُذكر

وقد طبعت هذه الشهادات منقولةً الى اللغة اللاتينيّة او الافرنسيّة مع تاريخ الابحاث في الكتاب المسمى دوام ايمان الكنيسة الكاثوليكيّة في سرّ الافخارستيا في اربعة مجلدات ضخمة تحتوي على ستة آلاف عمود او ٣٠٠٠ صفحة بعمودين وقد نقلنا في مكتبة باريس العمومية (سلسلة الكتب العربية نمرة ٢٢٥ — ٢٢٧) شهادتين لبطريرك الاقباط متاووس تاريخ الاولى ٥ شهر مسري والثانية ١٨ هوتور سنة ١٣٨٨ للشهداء الاطهار (سنة ١٦٧١ للميلاد) وهذا نصهما بالحرف الواحد ننشره بالطبع لاول مرة :

ⲘⲒ

ⲪⲎ بسم الله الرووف الرحيم

ⲔⲒ ⁘ المجد لله دائماً ابداً

ⲘⲀⲦ

ⲐⲈ الخلاص للرب يا الله الخلاص (٢

ⲞⲤ ١)

سلام سيدنا يسوع المسيح ونعمة روحه الحي التي حلت على تلاميذه الاطهار ورسله القديسين الابرار بعلية صهيون المقدسة ذات الوقار ذلك السلام الالهي وتلك البركة نفسها يكونان حالّين على الدوام على الاخوة المباركين المجلين المسيحيين بارك الله عليهم اجمعين بالبركات السمايية امين

نعلمهم بعد تجديد البركات عليهم واهدى السلام الروحاني لديهم هو ان بلغنا ان العدوّ بيتكم(٣ بيتكم بسبينا من اجل الايمان ونحن قد ارسلنا لكم مسطور في خصوص ذلك ونكتب لكم هذه المراسله ايضاً مني انا الحقير متاووس عبد يسوع المسيح بنعمه الله الغير مدروكه الغير مستحق ان ادعى بطريركا على مدينة العظمى الاسكندريّة وما معها وبلاد القبط بمصر وبلاد الحبشة والنوبه وافريقية ونيقيه ﻫ

كتبت ذلك الى دات محبة لكلمن اطلع في هذا المكتوب وقراه وقد عرفنا ان

١) معناه الحقير متاووس ٢) الاحرف في الاصل مشتبكة في بعضها

٣) كذا في الاصل ولعلّ الصواب بتكلّم

الاراتقة من اهل الافرنج فهم بالعند يضاددون خصوصاً السرّ المظيم جسد المسيح الذي هو القربان المقدس وينكروا حقيقته قايلين ان يسوع المسيح ما هو موجود فيهِ بذاته بل بصورته فقط ويقولون ايضاً عنا نحن ما نومن بذلك السر المقدس اعني لم نومن استحال من الجوهر الخبز والخمر الى جوهر جسد ودم المسيح ولا حضرته على المذبح المقدس في القربان بالحقيقة بعد التقديس ويقولوا ايضاً ان القربان المقدس ما هو جسد حقيقي ليسوع المسيح بالخبز مسمى جسداً للمسيح لاجل قوة روح القدس الوجود فيهِ وان القربان الذي نسمى جسد المسيح يقولون ما هو جسده بنفسه الذي في السماء ويقولون ان المسيح فهو في السما السماء (كذا) فقط ولا على الارض بذاته وان الشي الذي ننظره ما هو جسد حقيقي بل خبز فقط وهكذى يقولون عنا ان ما نسجد لجسد يسوع المسيح في القربان بالعباده المخصوصه لله ويقولون ايضاً ان الخطاة الذين يتناولون القربان لم يتناولون جسد المسيح. بهذا القول الذي سمعناه قد طلبنا الغفران من الله لاجلهم فلاكن نشير عليهم بهذا الشور لم يتكلمون علينا بهذا الكلام الغير لايق فان ليس لهُ صحه بل كدب وباطل ولم ينظرون القشة الصغيرة في عيننا والخشبة الكبيرة في اعينهم فلذلك لنشيل الشك عن القلوب نبين لهم الان اعتقادنا فنقول لهم وقدام جميع الناس ان طايفة القبط اليعاقبه تقبل وتعتقد بهذا الايمان الحقيقي جسد يسوع المسيح بذاته الذي صعد الى السما وهو جالس عن يمين الاب في العلا ذلك الجسد هو بذاته وبنفسه وبجوهره في القربان المقدس وهو غير منظور لاجل حضرة جسده بنفسه على المذبح المقدس لهُ بالعباده المخصوصة لله كمثل ما يومنوا طايفة اللاطينيين ونحن معهم في هذا الشي المخصوص ومفترقين معهم في شي اخر. ويكذبون علينا تلك الاراتقة قايلين ان بعد التقديس ما نعبده ولا نسجد لهُ ه

نعتقد ونقول ان الشريرين والصالحين يتناولوا جسد المسيح بفمهم الاوليون لهلاكهم والاخرين لخلاصهم نقول ونومن ان الخبز والخمر استحال حقيقياً الى جوهر جسد يسوع المسيح والى جوهر دمه الكريم حتى بعد التقديس جوهر الخبز وجوهر الخمر لم يبقَ وان ذلك السر المقدس يعطى للمرضي ليموتون في نعمة الله ليكون ذخيرتهم في ملكوت السموات. نقول انما هو شي غير معقول ان نصدق ان جسداً واحداً من الاجساد يكون في كثير من اماكن في فرد ساعه لان الذي خلق الدنيا بكلمة واحدة

فهو قادر ليفعل هذه الاعجوبة يفعل جسده بكلمة قايلا بفم الكاهن هذا هو جسدي واعطى جسده لتلاميذه في عمواس وهو كان في غير اماكن. وكما ان اللهوت كان متخبي في بطن العدرى مرتميم هكدا يكون تحت عوارض الخبز والخمر مساوي لان كان واجب ذلك ليجرب الله امانتنا وحتى لم نكره اذا الزمنا يسوع المسيح على الاكل بجسده في كان صعب علينا . نومن ونعتقد ايضًا ان هـذا الايمان الذي هو امر يسوع المسيح ربّنا الى اليوم بتسليم ابايـنـا الرسل الحواريون الاطهار والابهات القديسين الاطهار هو ذلك الايمان الذي تحفظه الى الموت . فحرمنا كلمن خالف الامانة الرسولية قايلا عن ذلك الاعتقاد المذكور اعلاه في القربان المقدس وخالف المستحال بجوهر الخبز الى جوهر جسد المسيح وهذا اثبتناه لكلمن قري هذا المسطور وكلمن ضادده وقال اننا ما نقبـل استحال جوهر الخبز والخمر الى جوهر جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه الكريم فانهم يتكلمون بالباطل ومعاندون للحق من جهة هذا السر القدس لاننا ماسكين على هدا مع اللطينيين من هذه الجهـة وقد اوضحناه وعلمناه وختمناه فيصير ذلك على علمكم فتقبلوه بالمحبة المسيحية انهى ذلك والحقير يسال من صاحب كنوز الرحمه ان ينور عقولكم ويهديكم الى جميع ما يرضيه من الخيرات السماوية وتكونوا بنين للبيعة الارتدكسية الذي شاع ذكرها الى اقاصي المسكونة بصلوات الست السيدة العدرى مرتميم الطاهره الزكيه والملايكه وروسا الملايكه وجميع الشهدا والقديسين وكل من ارضوا الرب باعمالهم الصـالحة من الان وكل اوان والى دهر الداهرين امين امين

في خامس شهر مسري سنة ١٣٨٨ (١ قبطية للشهداء الاطهار

(الختم) ⲓⲏⲥ ⲡⲭⲥ· (٢

ⲡϣⲏⲣⲓ

ⲙⲫϯ

---

١) بالحرف القبطي

٢) معناه يسوع المسيح ابن الله – ثم على ظهر الرقيم تسجيل افرنجي تاريخه ٣٠ آب ١٦٧٢ وقّعهُ قنصل فرنسة في مصر امبروسيوس دي تيجه (Ambroise de Tiger) والاب بليز من

ⲠⲒ

بسم الله الرووف الرحيم ϨⲎ

الحمد لله دائمًا ابدًا ⁘ ⲔⲒ

ⲘⲀⲦ

الخلاص للرب يا الله الخلاص ⲐⲈ

ⲞⲤ

سلام سيدنا يسوع المسيح ونعمة روحه الحي القدوس الذي حلت على تلاميذه الاطهار ورسله القديسين الابرار بعلية صهيون المقدسة ذات الوقار ذلك السلام الالهي وتلك البركة نفسهـا يكونان حالين على الدوام على الاخوة المباركين الارتدكسين والاراخنة المجليين المسيحيين بارك الله عليهم اجمعين بالبركات السمايية

نعلمهم بعد تجديد البركات: عليهم واهدى السلام الروحاني لديهم هو ان سمعنا وبلغنا ان العدو يتكلم(١ بيناتكم في اقوال واختلافات بسببنا في اننا لم نتبع الشريعة المسيحية الواجبة والقوانين الابسطليه الرسولية والامانة الارتدكسية لكن هـذا جرى لكي يزرع بينكم قلة المحبة والامانة فلا تمكنوا ذلك العدو في الاقايل ونحن تزيل الشك من بينكم وكتبنا لكم هذه المراسلة مني انا الحقير متاووس عبد يسوع المسيح بنعمة الله الغير مدروكة الغير مستحق ان ادعى بطريركا على مدينة العظمى الاسكندريّة وما معها وبلاد القبط بمصر وبلاد الحبشة والنوبة وافريقية ونيقية وكتبت ذلك الى ذات محبة لكلمن اطلع في هـذا المكتوب المبارك في امانة القبط الارتدكسية وقد اتضح للحقير انكم تريدوا بنعمة الله تعالى ان تكونوا وايانا بالمحبة الصادقة والالفة الروحانية الموافقة في الامانة الارتدكسية بكلمة الله المتانسة واحدًا ورفع المقاومة من كل ضدًا (كذا) نبتدي اول ذلك

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد لهُ المجد الى اخر الدهور امين

انجه رئيس الرسالة الكبوشية والاب دانيال دارزّو رئيس الرسالة الفرنسيكانية و١١ من التجار المقيمين في القاهرة

ويليه تسجيل ثاني لسفير فرنسة في الاستانة اوليه دي نوانتيل (Olier de Nointel) بتاريخ شهر ايلول ١٦٧٣

١) راجع الحاشية الثالثة (ص ٥٠٤)

بالحقيقة نومن باله واحد الاب ضابط الكل خالق السما والارض ما يرى وما لا يرى ونومن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساوي الاب في الجوهر الذي نحن البشر من اجلنا ومن اجل خلاصنا نزل من السما وتجسد من روح القدس ومن مريم العذرى وتانس وصلب عنا على عهد بيلاطوس البنطي وتالم وقبر وقام في اليوم الثالث وصعد الى السماوات وجلس عن يمين الاب في الملا وسياتي ايضاً في مجده ليدين الاحيا والاموات الذي ليس لملكه انقضى ونومن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب نسجد لهُ ونمجده مع الاب والابن الناطق في الانبيا بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بعمودية واحدة لمغفرة خطايانا وننتظر قيامة الاموات وبشركة القديسين والحياة الابدية امين

نقبل هذه الامانة الارتدكسية المقدسة التي وضعوها الثلثماية وثمانية عشر المجتمعين بمدينة نيقية ونومن ونعترف ان سيدنا يسوع المسيح الاله المتجسد طبيعة واحدة (١ مشية واحدة لا يفترق الناسوت من اللهوت ساعة واحدة ولا رمشة عين لهُ المجد الى الابد ونعترف ونومن بجسده الطاهر الذي جعلهُ لنا عهداً جديداً يوم الفصح المقدس لما قال لتلاميذه خذوا هذا هو جسدي وهذا هو دمي العهد الجديد الذي تغفر به خطاياكم وهو القربان المقدس المسيح نفسه بلاهوته وناسوته لهُ المجد ونعترف ونومن بالست السيدة العذرى البتول القديسة مرتمريم والدة الله الشفيعة في خلاص نفوسنا ونعترف بالكهنوت الذي اعطاه لخليفته راس الرسل ماري بطرس (٢ الرسول قايلا ما ربطتموه على الارض يكون مربوطاً في السماوات وما حللتموه على الارض يكون محلولًا في السماوات ونقبل ايضاً السبعة اسرار المقدسة الذي للكنيسة الارتدكسية وهو المعمودية المقدسة والميرون المقدس دهن المسحة والاعتراف عند الكهنة مثلما قال ماري يعقوب في رسالته

---

١) « سيدنا المسيح الاله المتجسد طبيعة واحدة » ان كان المسيح الهاً متجسداً اي الهاً وانساناً او ان شئتَ المالك الطبيعة الالهية لانهُ « اله حق » والطبيعة البشرية « لانه انسان حق » فكيف يقال انهُ طبيعة واحدة . ومن هذا يظهر جلياً ان اصحاب الطبيعة الواحدة يخلطون بين الاقنوم والطبيعة فالمسيح هو الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس اقنوم واحد لا تختلط فيهِ الطبيعة الالهية بالبشرية لكنهما تلبثان مجتمعتين غير مفترقتين في وحدة الاقنوم الالهي .

٢) يُقرّ اذاً البطريرك بماري بطرس راس الرسل وبالسلطة التي خولها المسيح خليفته

وليعترف بعضكم على بعض وبغير اعتراف لا يكون غفران بالندامة الكاملة على يد الكاهن (كذا) والسرّ العظيم الذي هو القربان الحي الذي قال عنهُ سيدنا يسوع المسيح نفسه انا هو الخبز الحي الذي نزل من السما من ياكل منهُ يحيى الى الابد يثبت في وانا اثبت فيه هذا الخبز الحي نعترف ونومن انهُ هو المسيح نفسه بلاهوته وناسوته معاً وهو خلاص لكل الخليقة ولمن يعترف به واسراره المقدسة وباقي السبعة اسرار المقدسة هما درجة الكهنوت المقدم ذكرها والزيجة الناموسية حكم الشريعة المسيحية وزيت المرضى اعني زيت القنديل ودرجات الكهنوت المقبولة في الكنيسة المقدسة وهي اثنى عشر رتبة وهم القبا والرهبان والعلمانيين والمرتلين والانغنسطس والابودياقن والشمامسة والكهنة اعني القسوس والقمامصة والاساقفة والمطارنة والبطاركة وهذه رتبهم ونعترف ونومن اذا متنا وانتقلنا من هذا العالم وعلينا ذنوب بالمطهر تخلص والقداسات والصلوات قبل الموت وبعد الموت والترحيم على الاموات في كل حين وايضاً نكرم الايقونات المقدسات المرشومات بالميرون المقدس لاجل الذين مرشومين على اسمهم لكي يشفعوا فينا تلك الذي الصورات على اسمهم وهذه اختصار في الشرح في الامانة وقد اوضحناها لمن يطلع عليها ويقبل ما فيها بالمحبة الروحانية ويطيع الاوامر الانجيلية والابسطالية والكتب المقدسة الالهية المقبولة في الكنيسة الارتدكسية والحقير يسأل من صاحب كنوز الرحمة ان ينور عقولكم ويهديكم الى جميع ما يرضيه من الخيرات السماية وتكونوا بنين للبيعة المقدسة الذي شاع ذكرها الى اقاصي المسكونة بتركات الست السيدة العدرى مرتمريم الطاهره الزكية والملايكة وروسا الملايكة وجميع الشهدا والقديسين وجميع من ارضوا الرب باعمالهم الصالحة من الان وكل اوان والى دهر الداهرين امين

في تامن عشر شهر هاتور سنة ١٣٨٨ قبطية للشهدا الاطهار

١) ⲒⲎⲤ ⲠⲬⲤ (الختم)

ⲠϢⲎⲢⲒ (لها تتمّة)

ⲘⲪϮ

١) على ظهر الرقيم تسجيل للقنصل دي تيجه تاريخه ١٠ كانون ثاني ١٦٧٢ مع توقيع كثيرين من التجار وتسجيل للسفير دي نوانتيل تاريخه اول تموز ١٦٧٢ في الاستانة

أَلْمُتَلَمِّسُ

تَرْجَمَتُهُ وَشِعْرُهُ

عُني بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

لاحق بسابق (راجع المشرق ٦: ٣٨)

قال المتلمس

٢ وهذه الابيات هي القصيدة الثانية من قصائد ديوان متلمّس. امَّا الداعي لانشادها فقد مرَّت الاشارة اليهِ في ترجمة حياتهِ. وذلك انهُ لمَّا خرج مع طرفة الى البحرين وعرف ما تتضمَّنهُ صحيفتهُ من الشرور نجا وهرب بنفسهِ الى الشام ملتجئًا الى ملوك غسَّان. قال صاحب الاغاني (٢: ١٩٨) وغيره: وقال ابو عبيدة لمَّا بلغ عمرو بن هند (وفي الاغاني النعمان بن المنذر) لحوق المتلمس بالشأم وكانت غسَّان قتلت اباهُ يوم عين أُباغ شقّ عليهِ لحوقهُ بغسَّان وحلف ان لا يدخل العراق ولا يطعم منهُ حبَّة ولئن وجدتهُ لأقتلنَّهُ. فقال المتلمس هذه القصيدة يهجو عمرًا وهي من القصائد المختارة جعلها صاحب جمهرة اشعار العرب في جملة المنتقيات

كَمْ دُونَ أَسْمَاءَ مِنْ مُسْتَعْمَلٍ قَذَفٍ ... وَمِنْ فَلَاةٍ بِهَا تُسْتَوْدَعُ العِيسُ

يروى البيت مع البيتين التاليين في ديوان المتلمّس في آخر القصيدة. ونظنُّ ان الاصحّ ان تروى في اوّلهِ كما وردت في جمهرة اشعار العرب. (الروايات) جاء في الجمهرة (ص ١١٢): كم دون ميَّة. وقال ميَّة اسم امرأة. وروى ياقوت في معجم البلدان (٤: ٦٦٩): كم دون مريَة. وقال في الاغاني (٢١: ٢٠٠): ويروى: من دويَّةٍ. وروى هبة الله العلوي (ص ٢٨): من داويَّة. (التعريب) أَسماء علَم لامرأة المُسْتَعْمَل الطريق الموطَّأ المَدُوس. قال في نسخة الاستانة: المستعمل الطريق المسلوك فسلوكهُ استعمالهُ. والقَذَف والقُذُف البعيد وقيل الطريق التي تتقاذف بمن يسلكها. والعيس كرام الابل بيضها. (المعنى) قال صاحب الاغاني (٢١: ٢٠٠) يقول: انَّ العيس لبعد هذا الطريق (الذي يفصلهم عن اسماء) تسقط فيهِ فيتركونها

وَمِنْ ذُرَى عَلَمٍ نَاءٍ مَسَافَتُهُ ... كَأَنَّهُ فِي حَبَابِ ٱلْمَاءِ مَغْمُوسُ

(الروايات) جاء في الديوان : نأتي مسافتهُ . ولعلّهُ تصحيف . وروى في الجمهرة (ص١١٣) : طامٍ مناهلُهُ . قال طام اي غامر . وفي مختارات شعراء العرب : مسافتهُ بالنصب . وحبابُ الماء النفّاخات التي تعلوهُ ويقال هو معظمهُ . (المعنى) اي كم دونها من جبلٍ يُرى كانهُ مغموسٌ في الماء لما يتخايل لهم من السراب في البريّة

جاوزتُهُ بِأَمُونٍ ذَاتِ مَعْجَمَةٍ تَنْجُو بِكَلْكَلِهَا وَٱلرَّأْسُ مَعْكُوسُ

(الروايات) يروى في احدى نسخ الديوان : جاورتُهُ . وفي تهذيب الالفاظ لابن السكّيت (ص ٥٢٥) : قطعتهُ . وفي الاغاني (٢١ : ٢٠٠) : ترمي بكلكلها . وفي الجمهرة (ص ١١٣) ومختارات الشعراء (ص ٢٨) : تهوي بكلكلها . (الغريب) الأمون الناقة القويّة الموثّقة الخَلق يؤمَن عثارها . والمَعجمة الصّلابة . وذات المَعجمة الصلبة . قال في الاغاني : مَعجمتها خُبرها من عجمتُ العود اذا عضضتهُ لتنظر صلابتهُ . وقال في الجمهرة : المعجمة من الابل التي تربع وتُثنّي في سنة واحدة فتقتحم سنّاً على سن قبل وقتها . وتنجو تسرع . وكلكلها صدرها . والمكوس المعطوف الذي جذبهُ الراكب اليهِ . قال في اللسان في المادّة : العكس ان تعكس رأس البعير الى يدهِ بخطام تضيّق بذلك عليهِ . (المعنى) يقول جاوزت هذه الفلاة وانا راكب ناقة موثّقة الخلق شديدة تربي بصدرها مسرعةً مع كوني أعطِف رأسها بالزمام لنشاطها

يَا آلَ بَكْرٍ أَلَا لِلَّهِ أُمُّكُمْ طَالَ ٱلثَّوَاءُ وَثَوْبُ ٱلْعَجْزِ مَلْبُوسُ

(الانتقاد) هذا البيت في الديوان هو مطلع القصيدة . وكذلك ورد في الاغاني قبل الابيات السابقة . (الغريب) للّه امكم تعجُّب . والثواء الاقامة يقال ثَوَى وأثوى . (المعنى) يخاطب قومهُ من بني بكر فيقول اني لاعجب منكم كيف تقيمون على الظلم وترضون بثوب الذلّ

أَغْنَيْتُ شَأْنِي فَأَغْنُوا ٱلْيَوْمَ شَأْنَكُمُ
وَٱسْتَحْمِقُوا فِي مِرَاسِ ٱلْحَرْبِ أَوْ كِيسُوا

(الروايات) جاء في نسخة لندن : اَغنيتُ شاني . ورُوي الشطر الاوَّل : اغنيت شاني فأغنوا اليوم شانكُمُ . ويروى : تيسكُمُ . واخبر ابو حاتم السجستانيّ قال : قرأتُ هذه الابيات على الاصمعيّ فصحَّحت عليّ فقلتُ : اغنيتُ شاني فاغنوا اليوم شانكُمُ . فقال الاصمعيّ : قُل : فأغنوا اليوم تيسكُمُ . وروى في الجمهرة (ص ١١٤) : وشمّروا في مراس الحرب . وفي الاغاني (٢١ : ١٩٨) : واستحمقوا . وفي مختارات شعراء العرب : واستحمقوا في ذكاء الحرب . وروى عن ابي عبيدة : في نواء الحرب . قال النواء المناواة . ويروى في نسخ الديوان : ليسوا . ونظنها غلطاً . (المعنى) اني تداركتُ امري فعليكم باصلاح شانكم . وهذا ايضاً معنى الرواية « اغنيتُ شاني فاغنوا اليوم تيسكُم » جعل المتلمّس امرهُ مجازاً بمنزلة الشاة وامر قومهِ بمنزلة التيس . وقولهُ « استحمقوا الخ » اي اجتمعوا لمحاربة عدوّكم او كونوا اكياساً ذوي راي وحزم . قال في الجمهرة (ص ١١٤) : كيسوا اي كونوا فطناء يقول امَّا بسيوفكم وامَّا برأيكم

إنَّ ٱلْعِلَافَ وَمَنْ بِٱللَّوذِ مِنْ حَضَنٍ لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ دِينٌ خَلَابِيسُ

(الروايات) روى في نسخة الاستانة: انّ علافًا . . . من حصن. ويروى: ومن بالطود من حضن. وفي الاغاني (٢١ : ١٩٨): وإنّ علافًا وم باللّوذ. ورواية الجمهرة (ص ١١٤)

انّ عقالًا ومن بالجوّ من حضن لمّا رأوا آيةً تأتي حلابيسُ

(قال) الآية العلامة. والحلبس الشجاع. (التاريخ والغريب) قال في الاغاني (٢١ : ١٩٨): علاف ريّان بن جرم بن ملطوان. ولَوْذُ الجبل ناحيتهُ. وحَضَن جبل باعلى نجد في حدوده. وفي المثل: أنجد من رأى حضنًا. والدين هنا الحال والشان. والخلابيس الاختلاط والفساد. قال صاحب الاغاني: امر خلابيس وهو الامر فيهِ اختلاط لا واحد لهُ. وقال ابن النحاس: امر خلابيس فيهِ عوَر واختلاط وفساد يقال امرٌ خلابيس اذا كان متفرقًا. وجاء في مختارات شعراء العرب وفي نسخة الاستانة خلابيس اخلاط وغدر وفساد ليس بتامّ. ويرق خلابيس لا مطر فيهِ. وخلقٌ خلابيس اذا كان على غير استقامة على المكر والخديعة. (المعنى) في البيت التالي

شُدُّوا ٱلْجِمَالَ بِأَكْوَارٍ عَلَى عَجَلٍ وَٱلظُّلْمُ يُنْكِرُهُ ٱلْقَوْمُ ٱلْمَكَايِيسُ

(الروايات) روى صاحب الاغاني (٢١ : ١٩٨) وصاحب مختارات شعراء العرب (ص ٣٦)

رَدُّوا عليهم جمالَ الحيّ فارتحلوا والضيمَ ينكرُهُ القومُ المكاييسُ

ويروى: فاحتملوا. وروى في الجمهرة (ص ١١٤) وفي شروح الديوان وشروح ديوان مختارات شعراء العرب: شدُّوا الجمال على بُزلٍ مخيَّسةٍ. قال المخيَّسة المذلَّلة للركوب. والبُزل جمع بازل وهو الذي اتى عليهِ تسع سنين لانَّ نابَهُ بزل اللحم فخرج. يقال جمل بازل وناقة بازل. (الغريب) الاكوار جمع كُور وهي الرحال. وقال ابو عبيدة: الكور هو الرحل باداتهِ. والمكاييس جمع مِكياس وهو الذي لا يزال يجيءُ بالكَيْس اي بالفطنة والعقل والظرف. (معنى البيتين) ضرب الشاعر لقومهِ مثلًا ليحملهم على انكار الظلم ودفع الضيم فقال: كونوا كبني علاف الذين كانوا محتلّين جبل حضن بنجد فلمَّا اصابهم الأذى ورأوا سوء حالهم رحلوا عن مقامهم (وفي الاغاني انهم تحوَّلوا الى عمان) ثم قال الشاعر: كلُّ قوم ذوي فطنة وعقل يأبون الظلم ويفرُّون من الظالمين

كُونُوا كَسَامَةَ إِذْ شُعْفٌ مَنَازِلُهُ ثُمَّ ٱسْتَمَرَّتْ بِهِ ٱلْبُزْلُ ٱلْقَنَاعِيسُ

(الروايات) روى في الاغاني عن يعقوب المعروف بابن السكّيت: «اذ خلّى مساكنَهُ». وروي ايضًا: «استمرّ». (التاريخ) قال ابو فرج الاصبهاني وهبة الله العلويّ وغيرهما: يريد سامة بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر. قال الاصمعيّ غاضب سامة قومَهُ فرحل الى عُمان وكان أبيَّ الضَّيم ونزل بكبكب وهو الجبل الاحمر (ويروى الاحمر) وراء عرفة ففي كراهية الظُّلم. وقال جلس هو واخواهُ كعب وعامر ابنا لؤيّ يشربون فوقع بينهم كلام ففقأ سامة عين اخيهِ عامر لانهُ ظلم جارًا لهُ وكان شرسًا. وقيل فقأ عين سعد اخيه فغضب عامر وخاف سامة ان يقع بمكّة شرٌّ فرحل عنها واتى عُمان فتزوَّج ناجية بنت جرم بن ريّان وريّان علاف بن

حُلْوان . وكان موت سامة بعمان . وذلك انَّ ناقتهُ تناولت رِمْثةً فعَلِقت بمشفرها افعى فاحتكَّت الناقة بغَرْز الرحل فنهشت الافعى ساقَ سامة فسقط كلاهما ميتين فقال شاعر يرثيهِ :

عين بكّي لسامةَ بن لؤيّ علقتْ ما بسامةَ العلّاقهْ

لا أرى مثل سامةَ بن لؤيّ حملتْ حتفهُ اليهِ الناقهْ

(الغريب) الشُّعْف موضع بالبحرين . وقيل انهُ تلّ على طريق البصرة الى مكَّة . وهما شُعْفان . ويروى شُعف بضم الاوَّل وهو جمع شَعَفة كشِعاف . قال ابو العبَّاس الاحول شِعاف الجبال اعاليها . واستمرَّت بهِ اجتازت . والبُزْل جمع بازل مرَّ شرحهُ . والقناعيس جمع قنعاس وهو الغليظ الشديد . (المعنى) يحرّض قومهُ على الانتماء بسامة بن لؤيّ الذي كان منزلهُ باعلى البلاد فسارت بهِ النوق الشداد الى عمان فرارًا من الظلم

حَنَّتْ قَلوصي بِهَا وَٱللَّيْلُ مُطَّرِقٌ بَعْدَ ٱلْهُدُوِّ وَشَاقَتْهَا ٱلنَّوَاقِيسُ

(الروايات) يروى : ساقتها النواقيسُ . (الغريب) القَلوص : الفتيَّة من الابل . قال في ديوان مختارات شعراء العرب (ص ٣٦) وفي شرح الديوان : جاء اي بالعراق الى الشام وفيها غسَّان وهم نصارى . والحنين ان يمدّ البعير صوتهُ طربًا الى إلفهِ او وطنهِ . مُطَّرِقٌ يطَّرق ويركب بعضهُ فوق بعض . يصف شدَّة سواد الليل . وبعد الهدوّ اي بعد ما هدأ الناس . يقال اتيتهُ بعد هَدْءٍ من الليل وهدُوءٍ من الليل وهَدْأَةٍ من الليل . (المعنى) بعد ذكر الشاعر مثل بني علاف وسامة يذكر انهُ هو ايضًا انف من الضيم وتقلّ عن وطنهِ في العراق ميمّمًا بلاد الشام وقد نقلتهُ اليها ابلهُ لا ناقة فتيَّة حنَّت الى استماع اصوات نواقيس بيع النصارى في تلك الانحاء

مَعْقُولَةٌ يَنْظُرُ ٱلتَّشْرِيقَ رَاكِبُهَا كَأَنَّهَا مِنْ هَوَى لِلرِّمْلِ مَسْلُوسُ

(الروايات) ويروى معقولةً . فيكون النصب على الحاليَّة . وفي نسخة برلين : الاشراق . وكذا في ديوان مختارات الشعراء . ويروى : كانهُ طرفٌ (وطرفهُ) للرمل مسلوس . ويروى : كانهُ طربٌ للرمل . (الغريب) المعقولة المشدودة . وقال في شروح الديوان : المَعْقل فوق الركبة . فان عقَّل الركبتين جميعًا قيل عقلَها بثنائين . وينظر التشريق اي ينتظرهُ . والتشريق اشراق الشمس . وقيل يريد ايَّام التشريق يعني ايَّام الحجّ حيث تُرمَى الجمار كانهُ حجَّ قبل ان يهرب الى الشام . والمسلوس الذاهب العقل . وصف ناقتهُ بهِ وكان حقّهُ ان يقول « مسلوسة » فنزَّلها منزلة الشيء . (المعنى) انَّ ناقتهُ لكثرة حنينها الى الرمل اصابها ضربٌ من الجنون فلم تصبر على راكبها وهو يضبطها منتظرًا وقت التشريق

وَقَدْ أَلَاحَ سُهَيْلٌ بَعْدَ مَا هَجَعُوا كَأَنَّهُ ضَرَمٌ بِٱلْكَفِّ مَقْبُوسُ

(الروايات) ورد في بعض نسخ الديوان وفي الاغاني : وقد اضاء . (قال) ويروى : وقد ابان . وروى في ادب الكاتب لابن قتيبة (ص ٢٨٧ طبعة ليدن) : رقدوا . ويروى : في الكفّ . (الغريب) قال ابو العبَّاس المبرّد : لاح النجم اذا بدا وألاح اذا تلألأ . قال الدلويّ (ص ٣٧) :

« الاح لمع واذا ظهر الشيء وبدا قيل قد لاح يلوحُ . ويقال ألاح من ذلك اي اشفق منهُ . ويقال ألاح بثوبهِ وسيفهِ اذا لمع بهِ » . وسُهَيْل كوكب منير يظهر في آخر القيظ وعند نضوج الفواكه . والعرب يجعلونهُ في خرافاتهم اخا الشعرى بيْن (راجع شروح مجاني الادب ص ٧٣٤) . ويجموا ناموا . قال العلويّ : والهجوع بالليل والنهار والهجوز (والصواب الهجود) بالليل خاصة . والضرم والضرام ما دقّ من الحطب وما اشتعلت النار فيه سريعاً . . . وقبس النار اوقدها . (المعنى) سرت لمّا كان قومي نياماً ولاح في السماء نجم سهيل كانهُ شهاب ملتهب في كفّ حامله

أَنَّى طَرِبْتِ وَلَمْ تَلْحَيْ عَلَى طَرَبٍ وَدُونَ إِلْفِكِ أَمْرَاتٌ أَمَالِيسُ

(الروايات) جاء في الاغاني وبعض النسخ : إنّي طربتُ ولم تَلْحَيْ . وفي نسخة لندن : ولم تلفي . ورُوي في نسخة مصر : دون القرء وهو تصحيف . وفي نسخة لندن : دون اهلك . (الغريب) جاء في ديوان مختارات شعراء العرب (ص٣٧) : الطرب خفّةٌ تأخذ الانسان من حزن او فرح قال الراعي : « فلم علك من الطرب العيونا » . ولم تُلْحَيْ اي لم تلامي يقال لحيت الرجلَ ألحاهُ لحياً . ولحوت العودَ ألحوهُ لحواً . ويقال إلف الآلف وأليف الُلفاء . والأَمرات جمع مَرْت وهي الارض التي لا نبتَ فيها . والامالس جمع إمليس وهي الخالية من كلّ شيء . وفي شروح الديوان : الامليس الارض المستوية . ومثلهُ ثوب إضريج وسيفٌ إصليت . وامرأة ابريق اي برّاقة . ونعامة إجفيل . (المعنى) يخاطب ناقتهُ فيقول : كيف تطربين وبينك وبين البلاد التي تحنين اليها مفاوز متسعة حتى اني لا الومك على طربك

حَنَّتْ إِلَى نَخْلَةَ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا بَسْلٌ عَلَيْكِ أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ

(الروايات) روى في اللسان في مادّة « دهرس » : حنّت . وجاء فيهِ وفي الجمهرة وبعض نسخ الديوان : الى النُّخلة . ورُوي في ذيل الاغاني (٢١ : ١٩٩) : نخلتي الوسطى . وجاء في شروح الديوان : حجرٌ عليك . وفي الجمهرة ومعجم البلدان لياقوت (٤ : ٧٦٩) : حجرٌ حرامٌ . وكذلك في نسخة لندن وفي هامش لسان العرب : بسل حرامٌ . (الغريب) . قال صاحب الاغاني : نخلة معرفة غير مصروف . قال ابو عمرو الشيباني : نخلة القصوى بغير الف ولام واد وهو ممّا يلي نجداً وهي طريق الشام . (قال) ويقال قُصْوى وقُصْيا . وبسل اي حرام . قال الاعشى :

فجادتكمْ بسلٌ علينا محرَّمٌ وجادتكمْ حلٌّ لكم وحليلُها

والدهاريس الدواهي المنكرات لا واحد لها . قال الاصمعيّ : واحدها دِهْريس وحكى الاخفش عليّ بن سليمان عن ابي عبّاس الاحول انّ واحدها دِهْرس . وقال عيسى بن عُمَر : الدَّهاريس والدراهيس جميعاً . (المعنى) يقول انّ ناقتهُ في طريقها لشدّة ما اصابها من التعب حنّت الى وادي نجد فزجرها صاحبها بقولهِ انّ الرجوع القهقرى هو الطامّة العظمى

أُمِّي شَآمِيَةً إِذْ لَا عِرَاقَ لَنَا قَوْمًا نَوَدُّهُمُ إِذْ قَوْمُنَا شُوسُ

(الروايات) روى ياقوت (٤ : ٧٣٩) : اليَّ شآميَةً . وهو تصحيف . وجاء في روايات الاغاني

(٢١ : ١٩٩) : لا عراق لها. وروى العلوي (ص ٣٧) : تودُّهمُ. وفي نسخة لندن : قوماً بهذم.
(الغريب) أَمي اي اقصدي يقال أَمَمتُ الشيء امًّا وأَمَّمتُهُ ويَمَّمتُهُ وتأممتهُ. شآمِيَةً اي ناحية شآمِيَةً . او يريد نخلة الشآمية وهو مكان. وجاء في نسخة الاستانة بيتٌ يشير الى ذلك انشدهُ ابو عمرو الشيباني :

لو انَّ اصحاب بني معاويه   اهل حبوب (؟) نخلةَ الشآميه

والشُّوس جمع الأَشوس وهو العدو الذي ينظر اليك شزرًا لبغضهِ لك . (المعنى) يقول لناقتهِ : اقصدي في جهة الشام قوماً احبَّاء. نحتلّ جوارهم اذ لم يعد لنا نصيبٌ في العراق بين قوم مبغضين

لَنْ تَسْلُكِي سُبُلَ ٱلْبَوْبَاةِ مُنْجِدَةً   مَا عَاشَ عَمْرٌو وَمَا عُمِّرَتْ قَابُوسُ

(الروايات) روي في بعض النسخ المخطوطة : النوبات وهو تصحيف. وروى ابن السكّيت : ما عشتَ عمرو. وفي الاغاني (٢١ : ١٩٩) والجمهرة (ص ١١٤) : ولا ما عاش قابوس. قال في الاغاني : وروى الاصمعيّ : ما عشتَ عمرُو ولا ما عشتَ قابوسُ على النداء. (الغريب والتاريخ) قال ابن السكيت (ياقوت ١ : ٧٧٥) : البوباةُ ثنيَّة في طريق نجد ينحدر منها صاحبها الى العراق. فيقول لا تأخذ بذلك الطريق الى نجد وانت تريد الشام. واصل البوباة والموماة المتَّسق من الارض. ويريد بعمرو وبقابوس عمر بن هند وقابوس اخاهُ ابني المنذر بن ماء السماء اللذين عرب منهما هو وطرفة فسلم المتلمّس وقُتل طرفة

لَوْ كَانَ مِنْ آلِ وَهْبٍ بَيْنَنَا عُصَبٌ   وَمِنْ نَذِيرٍ وَمِنْ عَوْفٍ مَحَامِيسُ

أُودِي بِهِمْ مَنْ يُرَادِينِي وَأَعْلَمُهُمْ   جُودَ ٱلْأَكُفِّ إِذَا مَا ٱسْتَعْسَرَ ٱلْبُوسُ

يَا حَارِ إِنِّي لِمَنْ قَوْمٍ أُولِي حَسَبٍ   لَا يَجْهَلُونَ إِذَا طَاشَ ٱلضَّغَابِيسُ

(الانتقاد) هذه الابيات لم تُذكر الّا في نُسختَي مصر والاستانة ولا ذكر لها في الاغاني وفي جمهرة العرب وكتب الادباء. (الغريب) آل وهب ونذير وعَوف فروع من بني بكر. والعُصَب الجماعات. ويروى عضبٌ ونملةٌ تصحيف. والمحاميس الشجعان. واودى بهِ اهلكهُ. ويجوز أُردي جم من الرَّدَى وهو الموت. وراداهُ حاول رداهُ. واستعسر البوس اشتدَّ. ويروى : استسمر وهو غلط. وحارِ ترخيم حارث يريد بهِ احد الحارثَين اللذين سميا بالمتلمس عند عمرو بن هند (راجع ترجمتهُ في المشرق ٥ : ١٠٦١). والضغابيسُ الضعاف واحدها ضُغبوس. (المعنى) استطرد الشاعر الى ذكر فضل قومهِ فقال لو شاء آل وهب ونذير وعوف وجمعوا كلمتهم لردّ الظلم عني لقويتُ على من ناصبني واعلمتهم ما في قبيلتي من الكرم والمروّة ساعة البؤس. فاعلم يا حارث انَّ لي اهلًا ذوي عقل وحكمة لا يتضعضع رأيهم اذا ما سقم راي غيرهم

آلَيْتَ حَبَّ ٱلْعِرَاقِ ٱلدَّهْرَ أَطْعَمُهُ   وَٱلْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي ٱلْقَرْيَةِ ٱلسُّوسُ

(الروايات) قال في ديوان مختارات الشعراء (ص ٣٧) : ويروى آليتُ بالفمَ. (قال) وبروى : يأكلهُ بالقرية والنقرة بلدة. وروى في نسخة لندن وفي الاغاني : الدهرَ آكلهُ. (الغريب) آليتَ اقسمتَ والألية اليمين جمعها ألايا وقد حذف النفي بعد القسم لدلالة المعنى عليهِ. وطعمهُ اكلهُ. والسوس دوَيبة القمح. (المعنى) يشير في هذا البيت الى قسم عمرو بن هند لمَّا حلف ألَّا يأكل المتلمّس من طعام العراق ويقول لهُ ان منعتني من اكل طعام العراق فاني اجد طعاماً اوفر في الشام يأكلهُ السوس لكثرتهِ عندهم. وقد شرحهُ عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب (٣ : ٧٥) شرحاً مختلفاً فقال : « يقول لعمرو حلفتَ لا تتركني بالعراق ولا تطعمني من حَبّهِ والحال انَّ الحبَّ لا يبقى ان ابقيتهُ بل يُسرع اليهِ الفساد ويأكلهُ السوس فالبخل به قبيح وهذا على طريق الاستهزاء بهِ والسخرية ». ونظنّ انَّ المعنى الاول اصحّ

لَمْ تَدْرِ بُصْرَى بِمَا آلَيْتَ مِنْ قَسَمٍ ... وَلَا دِمَشْقُ إِذَا دِيسَ ٱلْكَدَادِيسُ

(الروايات) قال في الاغاني (٢١ : ٢٠٠) : ويروى اذا ديسَ الفراديسُ : والفراديسُ دربٌ يقال لهُ درب الفراديس. وقال ابن النحّاس الفراديس موضع بدمشق اي اذا دُرست الزروع التي عند الفراديس. وقال الاصمعي : انشدني ابو عمرو بن العلاء : اذا ديس الفراديسُ. والفراديس البساتين واحدها فردوس وقيل الفراديس قرية بالشام. وكذلك قال ابو عبيدة فيهِ. (الغريب) بُصرى عاصمة بلاد حوران والشام سابقاً. وديس مجهول داس. والكداديس جمع كُدْس وهو ما تكدَّس اي تكوَّم من الحنطة. (المعنى) يجزأ بعمرو بن هند فيقول اقسمتَ غير انَّ يمينك لا تبلغ الشام فإنَّ اهاليها يهزأون بهِ لموانك عليهم. وشرحهُ في خزانة الأدب (٣ : ٧٥) شرحاً آخر قال : « يقول لا تدري كثرة الطعام الذي ببصرى وبدمشق ». وهو يروي « كراديس » (بالراء) قال الكراديس اكداس الطعام

عَيَّرْتُمُونِي بِلَا ذَنْبٍ جِوَارَكُمُ ... هٰذَا نَصِيبٌ مِنَ ٱلْجِيرَانِ مَنْحُوسُ

(الانتقاد) هذا البيت لم يُروَ في غير نسختي الديوان نسخة مصر ونسخة الاستانة. (الغريب) المحوس المشؤوم. (المعنى) يقول بئس ما فعلتم لمَّا لمتموني بمجاورتكم فليس هذا من فعل الجيران ذوي القربى

فَإِنْ تَبَدَّلْتُ مِنْ قَوْمِي عَدِيَّكُمُ ... إِنِّي إِذَنْ لَضَعِيفُ ٱلرَّأْيِ مَسْلُوسُ

(الروايات) يروى : بغيرهمُ. وروى في الاغاني والعقل مسلوسُ. (الغريب) عدي يريد عدي بن ثعلبة بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر. والمألوس والمسلوس الذي لا عقل لهُ. (المعنى) لو اردتُ الآن ان اترك مأمني فاعود الى وطني فاصير تحت حكم عديّ كنت رجلًا لا عقل لهُ

(لهُ بقيّة)

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل السابع

في الطريق

كتاب الضابط راسيوس روفوس الى صديقه لوسيليوس في بيروت
في ١٠ من كالندس آذار (٢٠ شباط)

صديقي الصَّدوق

كتابي اليك حفظتك الآلهة من قيسريَّة فيلبُّس (بانياس) لثماني بقين من شباط وكأنّي بك ترميني باللام وتنسبني الى الخلف بالوعد اذ لم أكتب لك الّا بعد عشرين يومًا مضت على فراقنا. بيد انك تمهّد عذري ولا محالة اذا ما وقفت على اسطري هذه

بارحنا بيروت في اصيل النهار ووجهتُنا صيداء. فبلغناها في بُهرة الليل الدامس بعد خمس ساعات من سير حثيث على طريقٍ سويَّة عند سِيف البحر الّا في بعض عطفاتها وكنتُ اودّ لو رافقتني لنتجاذب اطراف الحديث لأني وجدتُ رفيقنا قائد المئة أشدَّ بكمًا من الحيتان لا يكاد يُسمع لهُ صوت في طريقهِ وربّما حاولتُ لافتكَّ قُفل شفتيهِ فكنتُ اخيب من القابض على ماء. وغاية ما كان يجيبني بعض الفاظ قصيرة متقطعة تنحمني وتقطع جرَّتي فرأيتُني مضطرًّا الى ان ألزم الصمت واصون غرار اللسان في غمدهِ. على اني كنتُ اجد في هذا القائد كل صفات الجنديّ الرومانيّ فلا ترى لهُ شبيهًا في حفظ النظام العسكري وملازمة قوانين الجنديَّة ويلوح ذلك في كل حركاتهِ وسكناتهِ فتخالهُ أُقْوِمَ من سيفهِ واصلب من درعهِ. ولكن هيهات ان تجد فيهِ جليسًا انيسًا يلذّك خطابهُ وترتاح لمؤانستهِ. فكأنَّهُ لم يفكر في شيء الّا في الوصول الى قيسريَّة كما أُمر

ولكن ما لنا ولقائد المئة. اراك تُسرع في قراءة ما سبق لتطّلع على الاخبار... رويدك يا صاح... اني لاعلم حقّ العلم انك واصحابك لا يشغلك سوى الحرب ولا تحلم الّا عن الوغى ولعلّك تريد الوقوف على عقبى الحرب قبل مباشرتنا بها. وماذا

يهنئك وانت في مصيفك في بيروت تعيش بالرغد والهناء بينما نحن نتوسد الحضيض ونفترش القتاد ونركب الاخطار فيصح فيك والحالة هذه مثل العامة « الحربُ بالنظّارة سهلٌ » . ولكن لأبرّد غليلك قبل مواصلة خبر سفري ها اني أسلفك علماً عن امور الحرب . انّنا الآن ضاربون الخيام في قيسريّة ونحن في انتظار اوامر القائد الكبير من ساعة الى اخرى وفي صباح هذا النهار اتانا طيطس ابن الامبراطور فسبسيان بجيش جرّار وهو كما تعلم الذي وكل اليه ابوهُ مواصلة الحرب الاورشليميّة

فهاك الآن قد خمد لظى فضولك فلنعودنّ الى تفاصيل اخبار سفرنا بعد مرحلتنا الاولى

اقمنا في صيدا، خمساً ليس للراحة بل لانتظار قوم من الرديف وليلحق بنا بعض الضبّاط والعمّال ذهبوا بالرخصة فآن لهم الرجوع الى فرقهم

فرأيتُ في التأخير انسب فرصة لاطوف في كل انحاء صيداء وامتّع الابصار بجميع آثارها وقد اجتمعت بكثير من اهاليها فاتيتُ عندهم من المجاملة واللطف ما حبّبهم اليّ وزاد مدينتهم في قلبي اعتباراً . فانّ هذه البلدة والحقّ يقال تستحقّ ما تغنّى به الشعراء من الاسماء الحسنة . . . هي درّة المشرق وملكة البحار وسيّدة العالم القديم . . .

ولكن أتعرف ما اعجبني فوق كلّ شيء في صيداء . . . احزر ان امكنك . . . لا ليس مرفأها العجيب حيث تتهادى الوفُ من السفن التجاريّة . . . ولا معاملها الارجوانيّة التي فيها تُصبغ تلك الاكسية الفاخرة التي خُصّ بها الملوك لرونقها وبهائها الساطع . . . هيكل اشمون ؟ كلاّ لم تحزر مع اني وجدت في هذا البناء من الاعمال الهندسيّة والكنوز الفنيّة ما اذهل عقلي وخلب لبّي

فايّ شيء اذن استحسنتهُ فوق الكل بصيداء ؟ . . . اتقرّ بجهلك ؟ . . . اعلم يا صاح انّ الذي اذهلني في صيداء ذهولاً ليس عليهِ من مزيد . . . انّما هو امر . . . النصارى

نعم النصارى . . . ولستُ في قولي هذا مصاباً بمسّ في عقلي كما تزعم . . . فكُفّ عن القهقهة واسمع ما جرى لي معهم . . . وايّاك ان تحسبني منهم فتظنّ انيّ حنثت لسكّتهم وان كنتُ مولعاً باكل السمك

وهنا كاني اراك تزيد عجباً وتنسبني الى الهذيان . نعم انّ للنصارى رمزاً وهو السمكة . لا يخفاك انّ السمكة يُقال لها باليونانيّة (ΙΧΘΥΣ) ولعلّك سمعت انّ

النصارى يعبدون شخصاً يُدعى يسوع ويلقبونهُ خرستوس اي مسيحاً ويزعمون انهُ ابن الله وانهُ فاديهم. فعمدوا الى اخذ اوَّل حرف من كل هذه الالقاب فاذا بمجموعها تتكوَّن لفظة « السمكة » باليونانيَّة. ولذلك تراهم يصوّرون على نواويسهم وفي معابدهم صورة السمكة اشارةً الى معتقدهم

فترى ان في اصطلاحهم هذا لعجباً لكن امورهم اعجب من ذلك... وهنا اراك تكرّر على مسامعي ما بلغك من اسرارهم عن لسان مبغضيهم... هم قوم أثمة ومنبع الضلالة وعثّ الفتنة واعداء الآلهة... يجتمعون في جوف الليل ليضحُّوا الضحايا البشريَّة فيقتاتوا من لحمان اطفالٍ صغار...

هذا ما كنتُ انا ايضاً اسمعهُ ولعلي كنت افتي بصحَّتهِ. على انني اليوم نبذت هذه الخرافات نبذ النواة مذ جمعني ونصارى صيداء نادٍ واحد وقد اردتُ ان افحص بنفسي عمَّا تتناقلهُ الالسن في حقّهم فسألت افراداً منهم بين شيوخ وشبَّان بين نساء ورجال فلم اجد في روايتهم اختلافاً ولا شيئاً ممَّا يريب العقل من يتهم

ومُجمل قولهم انَّ الههم واسمهُ يسوع الناصري ظهر على الارض قبل سبعين سنة فولد في مذود ومات على صليب الَّا انَّ موتهُ كان مبدأ حياةٍ جديدةٍ اذ قام من قبرهِ ويشهد على ذلك حرَّاسنا الرومانيُّون ثم تراءى مراراً لتلامذتهِ وصعد ظافراً الى السماء بازاء خمسمائة من الشهود لا يزال بعضهم حيًّا الى يومنا هذا. امَّا حياة الههم فكلُّها عجائب اطَّلعتُ عليها في كتابٍ يدعونهُ انجيلًا اوقفوني عليهِ فلم اجد ضمنهُ الَّا اموراً تدلُّ على فضل عظيم وفلسفةٍ اسمى من فلسفة حكمائنا. فشتَّان بين اعماله واعمال آلهتنا التي غذتنا امَّهاتنا باقاصيصهم منذ حداثة سنِّنا. فليس شيء من تلك الترَّهات واحاديث العجائز وانَّما ترى كلَّ شيء في حياة يسوع مطابقاً للعقل الصائب مزيلًا لشبهات النفس مفعماً بالتقى وروح الله

وما كان يقضي مني العجب ما اخبرني بهِ بعض صعاليكهم صرفتُ ليلةً في مسامرتهم في كوخ احد الحيَّاكين فجعلوا يقصُّون عليَّ اخبار مسيحهم فكان بينهم شيوخ وعجزة يذكرون يوم دخل مدينتهم صيداء فاجتازها وهو يصنع المعجزات (متى ١٥ : ٢١). فكان الواحد يقول: لله هذا النبيّ ما كان الطفهُ واحنَّهُ. كنتُ منهوكاً بداءٍ عياء فوضع يدهُ عليَّ وشفاني... وقال الآخر: وانا كنتُ كسيحاً فامرني ان اقوم وامشي

فقمتُ سالماً . . . وسمعتُ ثالثاً يهتف كيف يُنكَر لاهوتُهُ وقد سرتُ يوماً مع خمسة آلاف رجل الى البرّية فوق طبريّة لنسمع كلامهُ ولم نأخذ معنا زاداً فقاتنا كأننا بخمس خبزات وسمكتين وبقي من الفضلات ما ملأ قفّفاً عديدة

وما اتمَّ هذا الراوي حديثهُ حتى اجهشت امرأةٌ بالبكاء وقالت: لما مرَّ يسوع بصيداء كنتُ فتاةً يعذّبني شيطان فخرجت امي تصيح وتقول: ارحمني يا ابن داود فزجرها اوّلاً ليرى ثبات ايمانها ثم جازاها عن ثقتها قائلاً: يا امرأة عظيمٌ ايمانك فليكن لكِ كما اردتِ. ومذ تلك الساعة شفيتُ تماماً (راجع انجيل مرقس ف ٧)

وهذا ليس باعجب ممّا رواهُ لي بعض الحضور اذ قال: « كنتُ سنةَ قتلهُ اليهود صعدت لاورشليم لاسجد في الهيكل اذ حكم عليهِ بالموت رؤساء الكهنة وبيلاطس البنطي. فلمّا عُلّق على الصليب رأينا الشمس منكسفة وشعرنا بزلزال الارض وانشقّ ستار الهيكل. واما الميت فلم يُسمع من فيهِ غير كلام الغفران لاعدائهِ حتى انَّ قائد المئة والجنود الذين كانوا معهُ لمّا رأوا هذه العجائب اخذوا يقرعون صدورهم قائلين حقّاً انَّ هذا كان ابن الله »

وزاد على هذه الروايات شيخٌ منهم كان مشتملاً باطمارٍ لكنَّ وجههُ كان متّسماً بِسمة الوقار والسكينة: وانا اعدُّ اسعد ساعةٍ في حياتي اذ كنت بعد موتهِ باربعين يوماً على جبل الزيتون فظهر لنا بجلال عظيم وخاطبنا بكلام الذّ من الشهد ثمَّ باركنا وتصاعد الى السماء كأنهُ عمود من بخور يرتفع الى طبقات الجوّ. وبينا كنّا نبكي جميعنا ونحن نراهُ يفارقنا اذ وارَتهُ غمامةٌ عن ابصارنا فبقينا متحيّرين مدّةً حتى تراءى لنا ملاكان فقالا لنا انَّ الربَّ سيأتي يوماً على سحاب ليدين العالمين كما رأيتموهُ اليوم صاعداً على عنان السماء . . . فمذ ذاك اليوم انا في انتظارهِ وها قد اربى عمري على الثمانين . . . وان لم يأتِ فانا اذهب اليهِ لاكون معهُ مدى الابد »

هذه هي الروايات الغريبة التي كنت اسمعها من افواه هؤلاء الفقراء. ولا يمكنني ان اشكَّ في صحّة قولهم لأنهم شهود عيان اخبروني بما رأوا وسمعوا ومن المحال ان يُخدَع الوفُ من البشر في وقت واحد . . .

ولعلّك يا لوسيليوس تقطع لي هنا كلامي فتقول لي بصوتك الغليظ الأجشّ: وما لك لا تدين بدينهم ان كنت تصدّق كلّ خرافاتهم . . . هيّا تعمّد لابن النجّار »

على رِسْلك يا صاح واعلم اني لا اراني حتى الآن قادراً على اتباع آثار هؤلاء النصارى فانَّ في تعاليمهم اموراً تنوء تحت اثقالها مناكبي كيف لا وفي اقوال مسيحهم ما لا اطيق حملهُ كقولهِ مثلاً: « طوبى للفقراء . . . طوبى للجياع . . . طوبى للحزانى . . . صلُّوا لمن يضطهدونكم ويعيّرونكم . . . » واشياء كثيرة لم نرَ احداً من آلهتنا تكلَّم بها فضلاً عن انهُ لم يمارسها البتَّة

وعليهِ اني افضِّل ان اعيش في ديانة سهلة يحبُّ آلهتها البسط وملاذّ الدنيا. لكني لا اتمالك من اعتبار المسيحيين والاقرار بسموّ فضلهم

ومع ما تقدَّم لا تظنَّ انَّ النصارى قومٌ بائسون يعيشون منكوسين متعوسين كلّا بل تراهم على خلاف ذلك في السرور والبهجة مع ان اكثرهم فقراء يرتزقون بالشغل والتعب ولا يعرفون الترفُّه ورغد العيش. وقد لحظتهم اذا كانوا يجتمعون في كل مساء في معبدٍ حقير اقامهُ لهم كما ذكروا لي بطرس الصيَّاد وهو تلميذ يسوع الذي جعلهُ رئيساً على شركتهِ فدبَّر امورهم الى ان قتلهُ منذ ثلاث سنوات ملكنا نيرون. وما كانوا يأتون للصلاة بشيء آخر سوى خبز ملَّة وشيء من الخمر. وليس في هذه المآكل ما يدلُّ على الترَف والنعمة

ثمَّ توقَّيتهم عند خروجهم من صلاتهم فكانوا يخرجون صامتين قانتين على جبينهم لوائح البرّ والطهارة كأنهم ارواح سماويَّة لا بشر وكان بعضهم يذرفون الدموع الَّا انَّها دموع الفرح وسرور القلب . . . لعمري انَّ لفي ذلك سرّاً لا ادركهُ ولا بُدَّ لي ان اطَّلع عليهِ. وقد سألت صديقي لاونطيوس الذي عرَّفني بهم ان يكشف لي عن سرّ هذا الاجتماع وسبب فرحهم بعد اقامتهم هذه الرتب. فكان يجيبني دائماً: « انَّنا نجتمع للصلاة ولكسر الخبز » . . . ولكن انَّى لهم هذه البهجة وهذه البشاشة الغريبة او ليس نحن ايضاً نقرّب في هياكلنا قرابين الخبز والخمر للآلهة؟ . . .

قد اطلتُ الكلام في النصارى كما ترى. وما ذلك الَّا لاني رأيتهم لاوَّل مرَّة وباحثتهم وكنتُ اسمع عنهم اشياء متناقضة دون ان اتحقَّق امرهم. فاردتُ ان افضل لك ما وقفتُ عليهِ لعلَّك تُسرّ بمعرفتهم مثلي

والفضل في تعرّفي اليهم عائد الى صديقي لاونطيوس الذي تعرَّفتُ بهِ منذ عشرين يوماً فقط فامتزجت ارواحنا امتزاج الماء بالراح

فدونك وصفهُ لتعلم انهُ يستحقّ صداقتي بل صداقتك وفقاً لقول الفلاسفة ان صديق صديقي هو صديقي

لاونطيوس رجلٌ سوريّ الجنس رشيق القامة حسن الوجه شديد البنية واطول مني قليلاً . في وجههِ دقّة ونعومة وفي نظرهِ اباء وأنفة كمألوف عادة اهل جلدتهِ . وهو مع ذلك سهل الاخلاق لين العريكة لا ترى الغضب يكدّر صفاء طباعهِ في حين يستفزّ الحرد غيرهُ . وقد تجنّد لاونطيوس في الكتيبة الرومانيَّة الخامسة ولم يزل يترقَّى فيها بما اظهرهُ من الشدَّة والمراس في فنون الحرب حتى اصبح مثلي من اعظم ضبَّاط الكتيبة المذكورة . وما كدتُ اخاطبهُ لاول مرَّة حتى عشقتهُ نفسي واسرني بقيود صفاتهِ الفريدة . ولاونطيوس يدين بالنصرانيَّة وبهِ توصَّلتُ الى معرفة النصارى فحُبّب اليَّ النصرانيَّة

قد طال اليك كتابي وكادت النفاطة التي استضيء بها لتسطير رسالتي تنطفئ ولا اريد مع ذلك ان اختم الالوكة دون ان اشفي غليلك بخصوص احوال الجيش

كان وصولنا الى قيسريَّة في اليوم الخامس عشر من شباط نقضي صلب ايَّامنا باستعراض الجيش والتمارين الحربيَّة . واليوم قد وافانا قائد الجيوش طيطس كما اعلمتك في فاتحة كتابي . واتانا معهُ الفا رجل من نخبة الجنود اختارهم من الكتيبتين الثالثة والسابعة عشرة المحتلَّتين في الاسكندريَّة . وقد أثّر وصولهم اعظم تأثير في جيوشنا لعلمهم بشجاعة هؤلاء الكماة الذين حنَّكتهم التجارب ونجذتهم الحروب

امَّا يوم سفرنا من قيسريَّة الى جهات اورشليم فقد استفاض فيهِ الحديث ولكن لا بدَّ للجيوش الواردة من مصر ان تستريح ايَّاماً بعد ان قطعت خمسمائة ميل باقلّ من عشرين يوماً في براري ورمال صهرتها الشمس بلهيبها . ثم انَّنا ننتظر ايضاً جنوداً آخرين من جهات شتى . ففي امس ورد ٣٠٠٠ محارب من ضفاف الفرات . وبعد يومين تأتينا الكتيبة الخامسة التي انا احد روسائها وكانت في عمواس وكذلك الكتيبة العاشرة التي كانت في اريحا على وشك الوصول

هذا ولا يمرُّ علينا نهار او ساعة دون ان يأتينا من حلفائنا قوم منهم رجَّالة ومنهم خيَّالة . وقد اعجبتني كتيبة القوَّاسين السوريين . وممَّن اشتهر بغيرتهِ الملك اغريبا وسُحيم صاحب حمص وانطيوخوس ملك قوماجين . وقد وافانا قوم من غزاة البادية

العرب تراهم هائمين الى الحرب لاسيما انهم ينقمون على اليهود لحزازات قديمة في صدورهم فينتظرون الفرصة ليشفوا الغليل من دمائهم وينتهبوا اموالهم

وخلاصة القول انَّ قيسرِيَّة اشبه بمعسكر عظيم لا ترى فيه غير الجنود على اختلاف الازياء والاصول وتقاطيع الوجه والالوان. وقد سمعتُ احد كبار القوَّاد طيباريوس اسكندر يقولهُ انَّ عدد الجنود يبلغ ٦٠٠٠٠ الفاً فوحقِّ الهنا المشتري لا تنجو من هؤلاء الابطال اورشليم واليهود المدافعون عنها ولو كانوا اعزَّ من العقاب

ولكن ما لي اتهدَّد اليهود بالهلاك وقد فتنتْ قلبي منهم مهاة في بيروت فارقتها والروح لا يزال متوطناً بها فلا تلمني يا لوسيليوس فانَّ فتاة دار الورود قد اسرتني بمحاسنها. وما يزيد رجاني اني يوم خرجت من بيروت ومررتُ امام قصرها مع فرقة الجند السائرين لمحاربة وطنها رفعتُ بالحاظي لعلّني اراها آخر مرَّة فانظر ان كانت لا تحيد بنظرها عني فتلعنني كما كان يلعنني اليهود الذين يصادفوني في طريقهم... فوقعت عيني عليها وهي على سطح دارها فلم اجد في حركاتها شيئاً يدلُّ على الشحناء والبغض فعلمتُ انها باقيةٌ على الوفاء... ومن ثم ها اني ذاهب الى اورشليم فاحارب الحربَ العوان كالاسد الرئبال ولا انكص الى الوراء حتى اعود ظافراً فتسمع يهودية طيطس قيصر يُعلن باسمي في ملعب بيروت ويكلّلني باكاليل الظفر. فاذ ذاك يتمُّ فرحي وفرحها

استودعك الالهة يا صديقي لوسيليوس وارجوك في الختام ان تمرَّ امام دار الورود لترى هل صاحبة الدار في سلام وبهجة كالزهور التي تزين نوافذها »

وما انجز راسيوس الضابط هذه الرسالة حتى طلب ساعياً يأخذها الى بيروت. لكنَّ الليل كان دامساً لا يسمع السامع صوتاً ولا يرى الَّا انواراً ضعيفة في اطراف المعسكر يتمشَّى عندها الحرس فلمَّا ادركهم الضابط استحضر الساعي السائر الى بيروت فاذا هو يسرج فرسهُ للسفر فسلَّمهُ كتابهُ وبعد بضع دقائق رآه يركض جوادهُ فتبعهُ بالنظر لعلمهِ بان رسالتهُ تتضمَّن عواطف نفسه بل اودعها مهجة قلبهِ

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

ELÉMENTS D'ARCHÉOLOGIE CHRÉTIENNE
par le chanoine H. Marucchi, 3 vol. 1900-1902 *Desclée*

مبادئ علم العاديّات النصرانيَّة

انَّ العاديّات النصرانيَّة التي وقف عليها الاثريّون في زماننا بلغت عددًا لا يُحصى حتى انَّ درسها أصبح اليوم علمًا مستقلاً لا غنى عنهُ لمن اراد معرفة احوال النصرانيَّة في القرون الاولى للميلاد. وفي الكتاب المعنون هنا احسن دستور يتّخذهُ الدارسون كدليل يرشدهم الى ادراك مرامهم. كيف لا وانَّ واضع هذا الكتاب هو احد تلامذة يوحنَّا دي روسي الأثريّ الشهير الذي اكتشف في دياميس رومية عالمًا جديدًا لاهل عصره. والاب ماروكي لم يكتفِ بان اخذ هذا العلم عن استاذه بل لم يزل يواصل درسهُ زمنًا طويلًا حتى جمع في هذا التأليف لُباب كتب واسعة نُشرت منذ خمسين سنة. وقد قسمهُ الى ثلاثة اجزاء كلّ جزء ينيف على اربعمائة صفحة. فضمَّن الاوَّل ابحاثًا عموميَّة عن احوال الكنيسة في القرون الاربعة الاولى. مع تعريف عادات الرومان ووصف صنائعهم وفنونهم لاسيَّما اصطلاحاتهم في الكتابات الاثريَّة. وفي الجزء الثاني وصف للقرّاء كل دياميس رومية وما فيها من الآثار في كلّ باب من ابواب العاديّات كتعريف مدافن النصارى القديمة وطرائق دفنهم وذخائر الشهداء وآثار الرتب الدينيَّة. امَّا القسم الثالث فقد افعمهُ المؤلف بفوائد جمَّة عن الكنائس الرومانيَّة القديمة ومواقعها وهندستها وتصاويرها ورموزها. وكل ذلك على طريقة سهلة المأخذ قريبة المنال ولا يسعنا الَّا ان نحرّض كل محبي العاديّات الدينيَّة على اقتناء هذا الكتاب فانَّهم يعرفون بعد التجربة انَّ كلامنا مقصّر في وصفهِ والثناء على مؤلفهِ الاب ل. جلابرت

Histoire de Bagdad dans les temps modernes
par Cl. Huart, *Paris, E. Leroux* 1901. pp. 231

تاريخ بغداد في الازمنة المتأخرة

ان كتبة العرب قد افاضوا في ذكر بغداد على عهد الخلفاء وقد نقل عنهم الاجانب ما كتبوهُ فتوسَّعوا في بيانهِ. الّا ان اخبار دار السلام مذ دخلها المغول ثم استولى

عليها الفرس الى ان صارت تحت حكم دولتنا العليَّة أيدها الله لم يعرفها الَّا الافراد لقلَّة ما كُتب في هذا الصدد في القرون المتأخرة فنعزم المستشرق الشهير كليمان هوار قنصل فرنسة سابقًا ان يسدَّ هذا الخلل فجمع في هذا الكتاب ما امكنهُ من الاعلامات عن بغداد وتاريخها الى زمن علي رضا باشا . واخصُّ ما استند اليهِ في كتابهِ تأليف « كولشني خلفاء » بالتركيَّة لمرتضى نظمي زاده المطبوع في الاستانة العليَّة سنة ١١٤١هـ (١٧٢٨) وكتاب ثابت افندي عن تاريخ المماليك في بغداد من سنة ١١٦٣ الى ١٢٤٦ (١٧٤٩—١٨٣٠) وكتاب مطالع السعود باخبار الوالي داود الذي نُشر في بمباي سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٧) ثم مزج بين هذه الروايات وزاد عليها ما يوافق بينها مع ما نقلهُ عن اصحاب الاسفار الى عاصمة العراق . فجاء كتابًا شاملًا يجمع بين الافادة واللذَّة نحرّض اهل بلادنا على مطالعتهِ وارتشاف فوائدهِ

COURS PRATIQUE DE LANGUE ARABE

avec de nombreux exercices

par le P. J.-B. Belot s. j., 2 éd. Beyrouth, 1902 pp. 308

الدروس الرياضيَّة للغة العربيَّة

مامرَّ على هذا التأليف ستُّ سنوات حتى اضطرَّ صاحبهُ حفظهُ الله الى اعادة طبعهِ مع قلَّة رواج الكتب الشبيهة بهِ . والسبب في ذلك انَّ المؤلف اودع كتابهُ كلَّ ما يحتاج اليهِ طلبة اللغة العربيَّة من القواعد والايضاحات المفيدة دون ان يطمسها بكثرة التفاصيل المملَّة والابحاث الدقيقة التي يستغني عنها الدارسون وممَّا يزيد هذا الكتاب عائدةً التمارين العمليَّة التي الحقها المؤلف بكل باب من ابواب الصرف والنحو . فلا نشكُّ ان الطلَّاب يقبلون على هذه الطبعة الجديدة اقبالهم على الطبعة الاولى لاسيَّما انَّ واضعهُ نقَّحها واضاف اليها تحسينات اشار اليهِ بها الذين اتَّخذوا هذا الكتاب كدستور لتدريس العربيَّة ل . ش

شَذَرات

التلغراف بلا سلك والجسم البشري — قد اختبر الاستاذ توما تومارينا في جنيفا هل يمكن الجسم البشري بجوارحهِ ان يقوم مقام الباعث والقابل في

التلغراف بلا اسلاك فوجد ان ذراعي الانسان يتزّلان بمنزلة الصواري المستعملة لذلك. وان كان جسم الانسان هو في قبوله للامواج الكهربائيَّة دون موادّ اخرى الّا انَّ عرض البدن ومساحتهُ يسدَّان هذا الخلل. وعليه فامكن هذا الاستاذ ان يبلغ اخبارًا لمسافة بعيدة أُشير اليها بحركات الجسم

النيفوسكوب ذكرنا غير مرَّة ما للاب يوسف ألغه اليسوعيّ من اليد الطولى في العلوم الفلكيَّة حتى قدَّرت حكومة الولايات المتَّحدة قدرهُ وجازتهُ عن تصانيفهِ المتعدّدة. وقد افادتنا اخبار الفيلبين آخرًا انَّ الاب المذكور وضع مؤخرًا آلةً جديدة لرصد الغيوم وحركاتها وسرعتها ووجهتها وعلوّها الى غير ذلك من الافادات تدوّنها الآلة بحركتها الخاصَّة وقد دعاها نيفوسكوب اي نظَّارة الغيوم. والمجلَّات العاميَّة اخذت تصفها وتبيّن فضل واضعها

مديحة مار جرجس اطَّلعنا في مكتبتنا الشرقيَّة على نسخة اخرى بالكرشوني من مديحة مار جرجس التي اثبتناها في المشرق (ص ٣٨٩–٣٩٢) تشبه النسخة المطوّلة التي اخذنا عنها. وفي آخرها بعض ادوار لا تخلو من الفوائد ندوّنها هنا. وقد ورد بعد الدور الاربعين عن كنيسة القديس جرجس في بيروت:

نبع ما من تحت المذبح بوسط الهيكل كان يسرح
وكلّ من يجي يشرب يتصح لو كان مرضه جواني

يقولون الى اليوم بائن موضع الما المبينْ
والذي يعرف ويغرزن ينظر جهار كيف كاني

كنّه فرغ بعدّة الزمان وفروغه قد صار برهانْ
لانهُ صار بامر الرحمانْ لاجل تغيير الايمانْ

وبعد هذا ادوار متعدّدة في ما جرى للقديس جرجس بعد قتل التنّين وكيف حنق عليه الملك ديوقلطيانوس وقتله في مدينة الله حيث تشفي ذخائرهُ الاسقام. ثم قال:

نطلب بركته تكون معنا وتكون حارسة جمعنا
وان شفاعته تخلصنا وتخلّص كلّ نصراني

ناقلها سركيس المسكينْ بالحبس في صوم الاربعينْ
بستّائة وسبعين بالسنينْ الف بتاريخ ربّاني

بقزحيَّا بجبل لبنانْ كانوا الاخوة والرهبانْ

وقلبي في الهموم تعبانْ   في طول الليل سهرانِ

على زمان الاب القدسْ   وهو مار بولس الخامسْ
مالك كرسي مار بطرسْ   الطاهر الطوباني

وابي المكرّم المشرَّفْ   اعني البطرك يوسفْ
على خلاص الرعيَّة حائفْ   بحسب الامر الرباني

برحمته الربّ يثبّتهم   كلّ الرؤساء برفقتهم
وكلّ من يمشي بطاعتهم   باستقامات الايمانِ

يا ربّ ارحم ناقلها   وكاتبها مع سامعها
وكلّ من آمن وتاب بقولها   يخلص من النيرانِ

—﴿ النظارة العاكسة ﴾— اخبرت المجلّة العلميَّة الاميركيَّة (Scientific American) في تاريخ ٢٤ كانون الثاني من السنة الجارية وصف نظّارة عاكسة عجيبة الصنع ابتدعها على طريقة عجيبة احد اليسوعيين في مدرسة مُنتريال في كندا وهو الاب غاره (Garais) ولها عدّة خواص اتسعت المجلّة في تعريفها مع شرح رسومها. ومرآة النظّارة من حيث الكبر هي الثالثة بالنسبة الى المرايا الفلكيَّة التي في مراصد اميركة الشماليَّة كلها

—﴿ صبغ لون الاكاجو ﴾— اذا اردتَ ان تصبغ الخشب على لون الاكاجو امسح اوّلًا الخشب بمزيج من الحامض النتري (ac. nitreux) ثمَّ خذ ٣٠ غراماً من دم التنين و ٢٥ غراماً من كربونات الصودا واجعل ذلك في ٣٠٠ غرام من الكحول. فالدهون يكون اشبه شيء بالاكاجو

—﴿ فقيد الآداب الصينيَّة ﴾— هو الاب الجليل زوتولي (A.Zottolli) من اكبر علماء عصره بآداب الصينيين وكتبهم القديمة. قال الدكتور لجّ (Legge) البروتستاني من ائمَّة المستشرقين الصينيين: «ضربت الآداب الصينيَّة ضربةً اليمة بفقد الاب زوتولي اليسوعيّ الذي احيا علوم اسلاف رهبانيَّتهِ في الصين» ثم عدَّد تآليفهُ واختصَّ بالثناء كتابهُ في المعارف الصينيَّة في ستَّة اجزاء ضخمة ترجمهُ الى اللاتينيَّة. وكان يهتمّ في آخر حياتهِ بنشر اكبر معجم للُّغة الصينيَّة لا يقلّ عن عشرة مجلَّدات ضخمة. وكان اسم الاب زوتولي بالصينيَّة «شاو تالي»

المشي على الرأس — في باريس منذ ثلاثة اشهر اخوان يُدعيان باتيست وفرنكوني اصلهما من بلاد الدنيمرك عمرُ الاوَّل ٢٣ سنة والثاني ٢٦ اعتادا منذ حداثة سنّهما المشي على رأسهما. فتراهما يحملان على رأسهما قبعةً تصونهُ بما فيها تحت حنكهما ثم ينقزان نقزًا على الراس دون الاستعانة بايديهما او ارجلهما. وهما يمشيان كذلك نحو خمس دقائق. وقد تجوَّلا في بلاد كثيرة ليربحا بهذه المهنة وقد راهن المدعو باتيست انهُ يقطع في مدَّة ستّ ساعات المسافة التي بين الاوبرا وبنك ليون ماشيًا على راسهِ بشرط ان يمشي كذلك دقيقتين ويستريح دقيقتين ومن الغريب انهُ نازعهُ الجزاء احد الافونسيين من اصحاب البهلوان يدعى هيبوليت برتران

اسئلة واجوبة

س سُئلنا ثانية عن الشمع المستعمل في القدّاس: ١ً هل المصادقة التي ذكرناها على استعمال شمع باريزيّ هي اجازة لهُ دون غيره . ٢ً هل يجوز مزج الشمع العسلي بموادّ اخرى كما يفعل باريزي. ٣ً اذا صحّ مزج الشمع العسليّ بموادّ غريبة الى اي مقدار يجوز ذلك

الشمع العسلي في القداس

ج نجيب (على الاوَّل) كما اجبنا سابقًا انَّ هذه المصادقة على شمع باريزي التي اثبتها البشير ليست اجازة رسميَّة تجعل فضلًا لشمعهِ على غيره وانَّما هي فقط مصادقة على «صحَّة» اي جواز استعمال الشمع المصطنع في معملهِ. نجيب على (الثاني) انَّ عندنا انهُ يجوز لباعة الشمع العسليّ بعد تحليل شمع باريزيّ ان يركّبوا شمعًا مثلهُ. وعلى (الثالث) ان المجمع المقدَّس لم يعيّن هذا المقدار فيقتضي استشارتهُ في الظروف الخصوصيَّة

س وسأل القس يوسف عازار العراموني: ١ً متى وبَّخ الروح القدس العالم وارشد التلاميذ الى كلّ حقّ كما جاء في انجيل يوحنَّا (١٦ : ١٣). ٢ً كيف صاغ للانجيلي ان يقول عن الروح القدس انَّهُ فعل ذلك لانهُ لا يتكلَّم من عنده او ليس الروح القدس اله كامل يتكلم ايضًا من عنده

الروح القدس واعمالهُ

ج نجيب عن (الاوَّل) انَّ الروح القدس بكَّت العالم منذ يوم حلولهِ على التلاميذ في عليَّة صهيون ولا يزال يبكّتهُ ويزيّف اعمالهُ الباطلة بواسطة كنيستهِ الى منتهى الادهار وذلك امَّا بالتعليم الشفاهي وامَّا بالسيرة الصالحة. وعن (الثاني) انَّ المسيح نسب للروح القدس النطق من عند الابن لا لينكر صفةً من صفاتهِ الالهيَّة بل دلالةً على انبثاقهِ من الابن الذي هو كلمة الله الحيَّة اذ منهُ يأخذ الروح كما قال المسيح فيعطي للمؤمنين ل. ش